# عَوْدَةُ الحِجَاب

القسم الأول

## معركة الحجاب والسفور

جمع وترتيب

محمد أحمد المقدم

رحمه الله تعالى

إهـــــــداء ٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

جمهورية مصر العربية

# عَوْدَةُ الحِجَابِ

القسم الأول

## معركة الحجاب والسفور

جمع وترتيب

محمد أحمد المقدم

رحمه الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم

**إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .**

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .**

**﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام . إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ .**

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .**

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسَن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

بين يديك أيها القارىء — مواقف تاريخية تبين لك فصول ( المعركة ) التى نشبت فى أواخر القرن الماضى واستمرت أمداً بعيداً بين ( الحجاب ) وبين ( السفور ) بين ( العفة والفضيلة ) وبين ( التهتك والرذيلة ) .

وقد تركز البحث حول تاريخ هذه المعركة فى ( مصر ) ، وإن كان من حقه أن يستوفى تفاصيل المعركة فى سائر البقاع الإسلامية ، ولهذا الأمر مبررات :

- **منها عزة المصادر المَرْضِيَّة التى يمكن من خلالها استنباط المقصود .**

● ومنها أن مصر لما لها من مركز حساس ولما تتمتع به من صدارة تؤهلها للقيادة الفكرية - يقر بها الجميع كانت الأسوة والقدوة فى شتى المجالات بعامة ، وفى مجال ( المرأة ) بخاصة ، الأمر الذى جعل من فصول المعركة خارجها صورة مطابقة لما حدث فيها ولا ينسى التاريخ وصية الملك عبد العزيز لأبنائه بأن يقيسوا حال الأمة العربية قوة وضعفاً بحال مصر فهى ميزان قوة العرب والمسلمين (١) .

ولا ينسى التاريخ أن دفاع المسلمين المصريين ضد الإنكليز وعملائهم من دعاة ما يسمى ( بتحرير المرأة ) كان انطلاقاً من وجهة نظر الشاعر أحمد محرم التى يلخصها قوله مشيراً إلى « مصر » :

احفظوها إن مصر إن تضيع ضاع فى الدنيا تراث المسلمين

ومن هنا لم يكن من قبيل المصادفة أن يبدأ المبشرون الصليبيون بمصر ، قلعة الإسلام الصامدة ، ومركز ثقله ، ولم يكن من المصادفة أن يكون قادة الغزو الصليبى الجديد لمصر من القساوسة المعروفين بكيدهم للإسلام والمسلمين أمثال ( دنلوب ) و ( كرومر ) اللذين تخرجا من أكبر المدارس اللاهوتية فى أوربا(٢)، وغيرهم من النصارى الذين رحلوا إلى مصر ليتخذوها قاعدة انطلاق ، وليجندوا زملاءهم من المنافقين والمنافقات الذين أظهروا أسماء المسلمين ، وأبطنوا قلوب الذئاب ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون** ﴾ ، فمن هنا جاز تجريحهم ، وكشف عوراتهم ، تحذيراً منهم ونصيحة للمسلمين ، كما بين ذلك علماء « الجرح والتعديل » ( ولا عدوان إلا على الظالمين ) ، ولله در القائل :

من الدين كشف الستر عن كل كاذب
وعن كل بدعى أتى بالعجائب
ولولا رجال مؤمنون لهدمت
صوامع دين الله من كل جانب

---

(١) « مدافع آية الله » لمحمد حسنين هيكل ص ٢٥٤ ، وانظر ص ١٧ ، ٢٥٢ من نفس المصدر .
(٢) « المرأة ومكانتها فى الإسلام » لأحمد عبد العزيز الحصين ص ٢٠٧ .

هذا وقد حرصت أن أعزو – ما استطعت – كل قول لقائله ، لأخرج من تبعته ، وقصرت جهدى – على الجمع والترتيب،إلا فيما لا بد منه من التوضيح والتهذيب .

وهذا الجزء هو الأول من مجموعة ( عودة الحجاب ) يتلوها إن شاء الله تعالى أجزاء ثلاثة :

أولها : يتضمن معالجة قضيتين : إحداهما : ( المرأة صريعة بين جاهليتين ) ، والأخرى : ( شمس الإسلام تشرق على المرأة ) .

وثانيها : ويتضمن : معانى الحجاب وتاريخه – بدعة الدعوة إلى السفور – السفور والغيرة – السفور والحياء – أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب انتقاب المرأة ، وسرد المذاهب فى ذلك ، ومناقشة شبهات المخالفين .

وثالثها : ويتضمن ثلاث قضايا جامعة : تعليم المرأة ، وعمل المرأة ، وأحكام القرار فى البيوت – يسر الله إتمامها .

هذا عدا مسائل أخرى تفرعت من أبواب هذا البحث تعم الحاجة إلى تبيينها وإن بعدت عن المقصود الأصلى منه ، ولكن الشيء قد يذكر بالشيء ، وتصح الإضافة بأدنى مشابهة فى الزى والفيء ، وكلها نبضات قد يعوزها الترتيب والتنسيق ، ولكن أرجو ألا يعوزها الصدق والتوفيق ، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل سعيى هذا مشكوراً وجهدى فى هذا الجمع والترتيب – وإن كنت مقلاً – مبروراً ، ويتوب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين فيما فرط منا من السيئات والذنوب ، توبة لا يصيبنا بعدها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب ، وحسبى بعد ذلك أن أدعو الله أن لا يصرف من نيتى شيئاً إلى غيره ، وأن يوفقنى كى لا أبتغى بما سطرته إلا وجه الله والدار الآخرة،فإن من كان همه هناك كان فى شغل شاغل عن مدح المادحين،وقدح القادحين ﴿ **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب** ﴾ والحمد لله رب العالمين .

# معركة الحجاب والسفور

## ( قضية المرأة )
## بين المنهزمين والمتآمرين(*)

إن جملة الأحكام التى يطلق عليها عنوان ( الحجاب ) هى فى الحقيقة مشتملة على أهم أجزاء النظام الاجتماعى فى الإسلام ، فإذا وضعت هذه الأحكام موضعها الصحيح فى النظام الإسلامى بكامله ، ثم تأملها أحد فيه أثارة من البصيرة الفطرية السليمة ، لم يلبث أن يعترف بأنها الصورة الوحيدة الممكنة التى تضمن القصد والاعتدال فى الحياة الاجتماعية ، وأن هذه الأحكام لو عُرضت على العالم منفذة فى الحياة العملية بروحها الحيقيقة الصحيحة ، لهرولت الدنيا المنكوبة إلى هذا النبع الصافى ، تلتمس فيه الدواء لأدوائها الاجتماعية المتفشية بدل أن تنفر منه ، أو تطعن عليه .

فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت الممالك الإسلامية بطوفان من الاستعمار الغربى ، وبينما المسلمون فى هجود الكرى ، لم يستيقظوا بعدُ كل اليقظة ، جعل هذا السيلُ يمتد من قطر إلى قطر ، حتى شرَّق العالم الإسلاميَّ ، وغرَّب ، وما إن انتصف القرن التاسع عشر حتى غدت معظم الأمم المسلمة عبيداً للغرب الأوربى وخولاً له ، والتى لم تدخل منها فى عبوديته ، لم تسلم من الخضوع لسلطانه ورهبة بأسه وسطوته .

ولما بلغ هذا الانقلاب تمامه بدأت فى المسلمين آثار اليقظة والحركة ، فلما

---

(*) مستفاد بتصرف من كتاب « الحجاب » للمودودى رحمه الله ص ٣٧ - ٤٧ طبع مؤسسة الرسالة .

فتحوا أعينهم على الحال التى قد صاروا إليها ، فشلت ريحهم ، وزال عنهم بغتة ذلك الفخار والاعتزاز الذى طالما تأصَّل فيهم لبقائهم فى عِزِّ الغلبة ومجد السيادة قروناً متوالية ، فعادوا يفكرون فى أنفسهم ، كالسَّكران يُفِيقُهُ توالى الضربات من علوٍّ شديد ، ويبحثون عن الأسباب التى هبطت بهم ، وغلبت الإفرنج عليهم ، غير أن عقولهم لم تكن ثابت بعدُ إلى رشدها ، إذ كان السُّكر لا ريب قد ذهب عنهم ، ولكن ميزان الفكر كان لا يزال مختلاً فيهم :

فبجانبٍ كان يلح بهم شعور بالذلة والهوان ، ويؤزهم أزاً على تبديل ما هم فيه من الأحوال ، وبجانب آخر يغلبهم من حب الراحة وإيثار الدعة والارتخاء ما يحملهم على توخى أقرب الطرق وأسهلها لتبديل تلك الحالة ، وقد خارت فيهم من جهة ثالثة قوى الفكر والعقل ، وصدئت ملكات الفهم والذكاء بطول تعطلها عن العمل ، زد على ذلك كله ما أخذ بمجامع نفوسهم من الدهشة والروعة التى تعترى بالطبع كل أمة منهزمة مستعبدة ، وتغلغلت هذه العوامل فى محبى الإصلاح من المسلمين ، وأوقعتهم فى كثير من الضلالات العقلية والعملية ، فأكثرهم ما كادوا يفطنون للأسباب الحقيقية فى ارتقاء أوربة وانحطاطهم ، وأما الذين فهموها منهم وأدركوها ، فأعوزهم من بُعْدِ الهمة والعزيمة ما يتشجعون به على اختيار الطريق الوعرة للرقى والتقدم ، وكان من وراء ذلك كله الروعة والدهشة التى تعترى الطائفتين على السواء ، فلما مضوا بهذه العقلية المريضة الزائفة يريدون الإصلاح لم يروا أضمن للرقى ولا أدنى للوصول إليه من أن يحاكوا فى حياتهم اليومية كل مظاهر التمدن والحضارة الغربية ، فيعودوا كالمرآة الصافية ، يُرى فيها خيالُ الروضة والأزهار والرياحين ، وليس فيها من حقيقة هذه المناظر من شيء .

### « لتتبعُن سَنَنَ من كان قبلكم » :

وهذه هى الفترة الانهزامية التى غدت الأمم الإسلامية فيها تحاكى أمم الغرب فى الزىِّ واللباس ، وسائر المظاهر الاجتماعية ، فى آداب المجالس وأطوار الحياة ، حتى فى الحركة والمشى والتكلم والنطق ، لقد حاولوا تشكيل المجتمع المسلم على

الصيغة الغربية ، وقبلوا الإلحاد والدهرية والمادية فى نشوة التجدد ، بدون حيطة أو شعور بالعواقب ، وعَدُّوا من لوازم التنور الفكرى إيمان المرء بكل ما بلغه من قِبَل الغرب من فكرة ناضجة أو فَجَّة ، والإفاضة فيه فى مجالسه ، ورحَّبوا بالخمر والقمار واليانصيب والتهتك والرقص،وما إلى ذلك من ثمرات الحضارة الغربية ، ثُمَّ سلَّموا بجميع معتقدات الغرب وأعماله فى الأخلاق والآداب والاجتماع والاقتصاد والسياسة والقانون ، حتى فى العقائد الإيمانية والعبادات ، سلَّموا بكل ذلك من غير فهم أو شعور ، ومن غير نقد أو تجريح ، كأنه تنزيل من السماء ليس لهم قِبَلَهُ إلا أن يقولوا : ( آمنا ) ، وأصبح المسلمون أنفسُهم يستحيون من كل ما نظر إليه أعداء الإسلام بالتحقير والتعيير ، ولو كان هذا الشىء من الأمور الثابتة فى الشرع الحنيف ، وطفقوا يحاولون أن يمحوا تلك السُّبَّةَ عن أنفسهم :

– اعترض الغربيون على ما عندهم من أحكام الجهاد ، فقال هؤلاء المنهزمون : ( ما لنا وللجهاد يا سادة ؟ إنا نعوذ بالله من هذه الهمجية ) .. .

– اعترضوا على الرق ، فقال هؤلاء : ( إنما هو حرام عندنا أصلاً )(١) .

– وأطالوا لسان القدح فى تعدد الزوجات ، فجاء المنهزمون ينسخون بضلالهم وجهلهم آيات القرآن ، ويحرِّفون الكلم عن مواضعه(٢) .

– ثم قال أولئك الغربيون : ( لابد من مساواة الرجل والمرأة فى جميع نواحى الحياة ) ، فوافقهم المنهزمون،وقالوا : ( وهذا هو الذى ينادى به ديننا ويدعو إليه ) .

– وطعن القوم فى أحكام الزواج والطلاق فى الإسلام ، فقامت طائفة من المنهزمين تعالجها بالإصلاح والتعديل . .

– ولما عابوا الإسلام بأنه عدو لما يسمى ( الفنون الجميلة ) ، استدرك هؤلاء

---

(١) انظر « أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن » للشنقيطى ( ٣ / ٣٨٦ – ٣٨٩ )

(٢) انظر المرجع السابق ( ٣ / ٣٧٧ – ٣٨٠ ) .

قائلين : ( كلا ، بل ما زال الإسلام مذ كان ، يحتضن هذه الفنون ويحض عليها ، ويشرف على الرقص والموسيقى والتصوير والغناء ونحت التماثيل ... .

ولقد استطاع أعداء الإسلام فى تلك الحقبة أن يغرسوا فى نفوس الكثير من المنهزمين أنهم ما أتوا إلا لتعمير بلادنا ونشر الحضارة والثقافة ، وجهل هؤلاء المنهزمون أن هؤلاء الأعداء الموتورين قد توارثوا الأحقاد على الإسلام عبر القرون ، وأنهم لا يألون جهداً حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا . .

كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا   أن يبعثوا الحقد نيراناً وينتقموا
هذى حضارتهم والشر يملؤها   ماتت على صرحها الأخلاق والشيمُ

**نشأة « مسألة الحجاب » :**

كان هذا الدور أخبث الأدوار وأخزاها فى تاريخ المسلمين ، ففى هذا العصر نشأت ( مسألة الحجاب ) ، ولو كان البحث فى هذه المسألة مقصوراً على تعيين الحد الذى وضعه الإسلام لحرية المرأة ، لهان الأمر ، ولم يستعص حله ، لأن أكثر ما هنالك من الاختلاف بين المسلمين فى هذا الباب هو منحصر فى وجه المرأة ويديها : هل يجوز إبداؤها أم لا ؟ وليس فى هذا كبير خطورة ، ولكن الواقع ههنا غير ما ذكرنا .

الواقع فى الحقيقة أنه نشأت هذه المسألة فى المسلمين لكون الغرب قد نظر إلى الحجاب والنقاب بعين المقت والازدراء ، وصوَّره أقبح تصوير وأشنعه فيما كتب ونشر ، وعَدَّ ( حبس ) المرأة — على حد تعبيره — من أبرز عيوب الإسلام ، ولكن أنَّى للمنهزمين أن يغضوا عن هذه النقيصة التى أخذها ( سادتهم ) عليهم فيما أخذوا ؟! لقد فعلوا فى هذه المسألة - الحجاب — مثل ما فعلوا فى مسائل الجهاد والرق وتعدد الزوجات ، وما شاكلها من المسائل ، فما كان منهم إلا أن عمدوا إلى الكتاب والسنة يتصفحون أوراقهما ، وإلى كتب الفقه والأحكام ينقبون عن اجتهادات الأئمة فيها ، وأقوال الفقهاء ، لعلهم يجدون فى ثناياها ما يعينهم على أن يغسلوا عن أنفسهم هذا العار الذميم الذى عيَّرهم به الغربيون .

فإذا بهم يقعون على أقوال لبعض الأئمة تجيز للمرأة أن تبدى وجهها وكفيها ، وتخرج كذلك من بيتها لحوائجها ، ويؤخذ منها أيضاً أن المرأة يجوز لها أن تشهد الحرب لسقى المجاهدين ومداواة الجرحى ، ثم وجدوا فى تلك الأقوال إذناً بخروج المرأة إلى المسجد للصلاة ، وجلوسها للتعلم والتعليم ، فكفاهم هذا القدر من المعلومات لأن يدَّعوا أن الإسلام قد أعطى للمرأة حرية مطلقة[1] ، وأن الحجاب من تقاليد الجهلاء ، اتخذه المتأخرون من المسلمين الجامدين المتشددين ، ولا أثر له فى آية ولا فى حديث ، وإنما القرآن والسنة يعلمان الحياء والعفاف على سبيل التوجيه الخلقى العام ، وليس فيهما قانون أو ضابط يقيد حركة المرأة وتنقلها بقيدٍ ما .

ومن الضعف الطبيعى فى الإنسان أنه إذا اختار مذهباً من المذاهب فى شئون حياته يكون بدء اختياره لذلك المذهب بنزعة عاطفية غير عقلية ، ثم يأتى بعد ذلك فيستعين بالمنطق والعقل ليثبت كون نزعته تلك صحيحة معقولة ، كذلك وقع فى أمر الحجاب أيضاً ، فما عرضت للمسلمين مسألة الحجاب لشعورهم بضرورة عقلية أو شرعية إليه ، وإنما أتت من ذلك الميل والنزوع الذى نشأ من تأثرهم ببريق حضارة أمة غالبة ، ومن ارتياعهم لدعاية تلك الأمة ضد التمدن الإسلامى .

وذلك أن رجال ( الإصلاح ) لما رأوا المرأة الأوربية وما هى عليه من زينة وحرية فى الحركة والجولة ونشاط زائد فى المجتمع الغربى .. لما رأوا كل هذا بعيون مسحورة وعقول مندهشة ، تمنوا بدافع الطبيعة أن يجدوا مثل ذلك فى نسائهم أيضاً ، حتى يجارى تمدنهم تمدن الغرب ، ثم أثرت فيهم الدعوات الجديدة إلى تحرير المرأة وتعليم النساء ، ومساواتهن بالرجال .. تلك الدعوات التى كانت تنصبُّ عليهم كالوابل المدرار بلغة قوية منطقية ، وفى طبع أنيق جذاب ، حتى أماتت هذ الكتب والمنشورات الغربية بقوة دعايتها ملكة النقد والتجريح عندهم ، فاستقر فى سويداء قلوبهم أنه لابد لكل من يرغب أن يُعَدَّ من ( المتنورين

(١) يأتى فى ثنايا هذا البحث إبطال هذه الادعاءات ومناقشة شبهات القوم إن شاء الله تعالى .

التقدميين ) ويدفع عن نفسه تهمة ( الرجعية والتخلف ) أن يؤمن بتلك النظريات إيمانه بالغيب ، ويؤيدها ، ويحامى عنها فيما يكتب ويخطب ، ثم يروجها فى الحياة العملية حسبا أوتى من همة وجراءة ، كان هؤلاء تكاد تسوح بهم الأرض من فرط الخجل حينما يرون الغربيين يتهكمون بنسائهم المتنقبات المستورات فى اللباس العادى ، وينبذونهن بـ ( الجنائز المكفنة المتحركة ) ، وإلى متى – يا ترى – يطيق القوم الصبر على هذه الوخزات ؟ .. لذلك استعدوا آخر الأمر – طوعاً أو كرها – لأن يقوموا فيدفعوا عن أنفسهم هذا العار المخزى .

وهذه النزعات والعواطف التى دفعت المنهزمين إلى أن يقوموا بحركة ما يسمى : ( تحرير المرأة ) التى بدأوها فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، فمنهم من كانت هذه النزعات كامنة فى شعورهم الخفى ، فلا يدرون بأنفسهم ماذا يجرهم ، ويدفعهم إلى تلك الحركة ، فكانوا مخدوعين عن أنفسهم ، ومنهم آخرون كانوا يشعرون بنزعاتهم تلك شعوراً تاماً ، ولكنهم يستحيون ، ويحجمون عن إبداء نزعاتهم الحقيقية ، فهؤلاء لم يكونوا مخدوعين بل دهاة خادعين ، وأيّاما كان الأمر فقد قام كلا الفريقين بعمل واحد ألا وهو : سحب ذيل الخفاء على المحركات والدوافع الحقيقية لحركته تلك ، وحاول أن يظهرها بمظهر حركة عقلية بدلاً من إظهارها حركة عاطفية ، وساق فى تأييدها جميع الأدلة التى تلقاها من الغرب مباشرة كصحة النساء ، وارتقائهن فى مجالى الفكر والعمل ، وحقوقهن الفطرية ، واستقلالهن الاقتصادى ، وتخلصهن من ظلم الرجال وأثرتهم ، وانحصار رقى المدنية فى رُقِيِّهن ، لكونهن شطراً كاملاً من الأمة .. إلى آخر هذه الحجج ، وحتى ينخدع عامة المسلمين ، ولا يفتضح عليهم صميم المقصد من تلك الحركة ، وهو حمل المرأة المسلمة على اقتفاء آثار المرأة الأوربية واتباع المناهج الاجتماعية الرائجة بين أمم الغرب أعنى : اليهود والنصارى .. ولكن الأدهى والأخبث أنهم عادوا يخدعون الناس فى هذا الصدد عن طريق احتيالهم فى إثبات حركتهم الضالة بنصوص واستنباطات من الكتاب والسنة ، بالرغم من وجود البون الشاسع بين المنهج الإسلامى الربانى فى الاجتماع ومقاصد هذه الشريعة العليا ، وبين مبادىء النظام الاجتماعى الأوربى ومقاصده .

فإن المقصد الأعلى الذى يريد أن يحققه الإسلام من خلال نظامه الاجتماعى هو صون الأعراض، وكبح جماح الشهوات، وترويضها وضبطها وتقييدها بضوابط أخلاقية تضمن استعمالها فى خير الإنسان وطهارته، بدل إهمالها أو تضييعها فى الفوضى والهمجية .

وأما النظام الاجتماعى الغربى فعلى العكس من ذلك يرمى إلى الحث على سير التمدن بإشراك المرأة والرجل فى تدبير شئون الحياة، وتحمُّل تبعاتها على حدٍّ سواء، واستعمال الشهوات فى فنون ووسائل تحول متاعب الحياة إلى لذات ومسرات . ومن هنا يتضح الفرق، إذ إن الإسلام يضع نظاماً للاجتماع ليخدم مقاصده، قد فُصِل فيه بين دائرتى عمل الرجل والمرأة إلى حدٍّ كبير، وخطر اختلاط الذكور بالإناث بدون قيد خلقى، ثم حسمت فيه جميع الأسباب التى يمكن أن تخل بهذا الضبط والتقييد، وبذلك تجفف منابع الفتنة، وتسد الذرائع إليها، وتراعى حرمات الله وتؤدى حقوقه سبحانه، وكذا حقوق النفس وحقوق الخلق فى انسجام فطرى وتناسق طبيعى، وهذا بخلاف النظام الأوربى الذى يدفع الجنسين إلى ميدان مشترك فى الحياة، مع رفع جميع الحجب من بينهما، تلك الحجب التى تحول دون اختلاطهما الحر، ومعاملتهما المطلقة التى لا تحدها حدود .

ولك أن تقدر ما أمكر القوم الذين يريدون بجانب أن يتبعوا التمدن الغربى، ثم يبررون فعلهم هذا بقواعد النظام الإسلامى الاجتماعى[1] .. .

إن أقصى ما أوتيت المرأة من الحرية فى النظام الإسلامى هو أن تبدى

---

(١) ولا تغتر بالمجادلات الواقعة من هؤلاء المغرضين من دعاة تحرير المرأة . فكلها خيالات مختلة وعلل معتلة، وما تمسكوا به من الأدلة النقلية فهو إما اعتماد على نص ضعيف أو مكذوب – وإما خبر متشابه لا يدل على المطلوب، وأما ما تمسكو به من الأدلة العقلية فهو كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وإما يتصرفون فى النقل بما يوافق أهواءهم فيحذفون ما عليهم، ويثبتون ما لهم، وإما لقصور عن فهم عبارات العلماء مما لم يريدوه، وإما بالتقصير فى النظر والحكم بالظن الكاذب والتمسك بالأمور المتشابهة الخفية والإعراض عن الأشياء الواضحة الجلية، وليس هذا طريق العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين، بل هو السمة المميزة لأولئك المضلين على اختلاف أمصارهم، ويأتى مناقشة أدلتهم وشبهاتهم فى القسم الثالث من هذا المبحث إن شاء الله تعالى .

وجهها وكفيها إذا دعت الضرورة ، وأن تخرج من بيتها لحاجتها ، ولكن هؤلاء يجعلون هذا الحد الأقصى من حريتها نقطة البدء وبداية المسير ، فيقومون إلى آخر حدود الإسلام ، ويتقدمون فى سبيل الحرية ، ويتمادون إلى أن يخلعوا عن أنفسهم ثوب الحياء والاحتشام ، فلا يقف الأمر بإناثهم عند إبداء الوجه والكفين ، بل يجاوزه إلى تعرية الشعر والذراع والنحر إلى آخر هذه الهيئة القبيحة المعروفة ، وهى الهيئة التى لا تخص بها المرأة الأزواج والأخوات والمحارم فقط ، بل يخرجن بكل تبرج من بيوتهن ، ويمشين فى الأسواق ، ويخالطن الرجال فى الجامعات ويأتين الفنادق والمسارح ، ويتبسطن مع الرجال الأجانب ...

ثم يأتى القوم فيحملون رخصة الإسلام للمرأة فى الخروج من البيت للحاجة وهى الرخصة المشروطة بالتستر والتعفف على أنها يحل لها أن تغدو وتروح فى الطرقات وتتردد إلى المتنزهات والملاعب والسينما فى أبهى زينة ، وأفتنها للناظرين ، ثم يُتَّخَذُ إذن الإسلام لها فى ممارسة أمور غير الشئون المنزلية — ذلك الإذن المقيد المشروط بأحوال خاصة — يتخذ حجة ودليلاً على أن تودِّع المرأة المسلمة جميع تبعات الحياة المنزلية ، وتدخل فى النشاط السياسى والاقتصادى والعمرانى تماماً وحذو القُذَّة بالقذة كما فعلت الإفرنجية .

وها هو ذا المودودى — رحمه الله — يصرخ فى وجه هؤلاء الأحرار فى سياستهم العبيد فى عقليتهم قائلاً :

( ولا ندرى أى القرآن أو الحديث يُستخرج منه جوَاز هذا النمط المبتذل من الحياة ؟ وإنكم — يا إخوان التجدد — إن شاء أحدكم أن يتبع غير سبيل الإسلام فهلا يجترىء ويصرح بأنه يريد أن يبغى على الإسلام ، ويتفلت من شرائعه ؟ وهلا يربأ بنفسه عن هذا النفاق الذميم والخيانة الوقحة التى تزيِّن له أن يتبع علناً ذلك النظام الاجتماعى ، وذلك النمط من الحياة الذى يحرِّمه الإسلام شكلاً وموضوعاً ثم يخطو الخطوة الأولى فى هذا السبيل باسم اتباع القرآن كى ينخدع به الناس فيحسبوا أن خطواته التالية موافقة للقرآن ) ا هـ .

# حركة « تحرير المرأة » فى مصر

## البذرة الأولى :

( إن المتتبع لتاريخ ما يسمى بحركة « تحرير المرأة » فى مصر ، يجد أن جذور هذه الحركة تمتد إلى عهد محمد على باشا والى مصر ، حينما بعث المبعوثين إلى فرنسا ليتلقوا هناك الخبرات والمهارات الفنية ثم يحملوها معهم إلى مصر ، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل رجع المبعوثون من فرنسا حاملين تيارات فكرية مادية دخيلة على دينهم ، بعد أن بهرتهم رهبانية العلم المادى ، وتعبدهم سلطان العقل ، لقد عاد أولئك المبعوثون يحتلون مراكز الصدارة والتوجيه فى مختلف الميادين السياسية والتربوية والفكرية )[1] .

## دور الشيخ رفاعة الطهطاوى ( ١٨٠١ - ١٨٧٣ م ) :

( وكان من أعضاء الجيل الأول لهؤلاء المبعوثين الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى ، الذى أقام فى باريس خمس سنوات «من ١٨٢٦ - ١٨٣١ م» تقريباً ، وكان قد رافق البعثة المصرية كواعظ وإمام لها ، وما إن عاد إلى مصر حتى بدأ يبذر البذور الأولى لكثير من الدعوات الدخيلة على البيئة المصرية المسلمة تلك الدعوات التى حمل جراثيمها معه من فرنسا ، مثل الدعوة إلى فكرة « الوطنية القومية » بمفهومها المادى المحدود المنابذ للرابطة الإسلامية بين المسلمين مهما تباعدت أوطانهم ، وكذا استوحى من واقع الحياة الفرنسية أفكاراً عن المرأة هى

---

(١) الأخوات المسلمات ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ملخصا طباعة « دار الدعوة بالإسكندرية » سنة ١٤٠٠ هـ .

أبعد ما تكون عن شرائع الإسلام وآدابه ، وقد تجلى ذلك فى مواقفه الجريئة من قضايا تعليم الفتاة ، وتعدد الزوجات ، وتحديد الطلاق ، واختلاط الجنسين ، حيث ادَّعى فى كتابه « تخليص الإبريز فى تلخيص باريز » ص ٣٠٥ أن ( السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد ) ا هـ ، وذلك ليبرر دعوته إلى ( الاقتداء بالفرنسيين حتى فى إنشاء المسارح والمراقص ) ، مدعياً أن ( الرقص على الطريقة الأوربية ليس من الفسق فى شيء ، بل هو أناقة ، وفتوة ) وأنه لا يخرج عن قوانين الحياء ، ودعا المرأة إلى التعلم حتى تتمكن من تعاطى الأشغال والأعمال التى يتعاطاها الرجال )[1] .

وهكذا كان رفاعه الطهطاوى أول من أثار قضية ( تحرير المرأة ) فى مصر فى القرن التاسع عشر الميلادى .

## مرقص فهمى والقذيفة الأولى :

وفى سنة ١٨٩٤ ، أى بعد الاحتلال الإنكليزى لمصر بحوالى اثنتى عشرة سنة ، ظهر أول كتاب فى مصر أصدره صليبى حقود من أولياء ( كرومر ) الملقب باللورد ، أظهره محتمياً بالنفوذ البريطانى الذى أمَّن له الطريق نحو طعن الإسلام وأهله ، ذلكم هو ( مرقص فهمى ) المحامى ، وكتابه هو ( المرأة فى الشرق ) ، دعا فيه صراحةً وللمرة الأولى فى تاريخ المرأة المسلمة إلى تحقيق أهدافٍ خمسة محددة وهى :

أولاً : القضاء على الحجاب الإسلامى .

ثانياً : إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثاً : تقييد الطلاق ، وإيجاب وقوعه أمام القاضى .

---

(١) انظر ( الإسلام والحضارة الغربية ) للدكتور محمد محمد حسين .

رابعاً : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامساً : إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط .

وقد أحدث الكتاب ضجة عنيفة ، ولم يلبث المسلمون حين صدموا به حتى انطلقت فى غمرات هذه الضجة قذيفة أخرى تفجرت فى الوسط الإسلامى :

## « الكونت داركير » و « المصريون » :

فقد صدر كتاب ألفه ( الكونت داركير ) باسم ( المصريون ) ، حمل فيه على نساء مصر ، وهاجم المصريين ، وتعدى على الإسلام ، ونال من الحجاب الإسلامى ، وقرار المرأة المسلمة فى البّيت ، واقتصار وظيفتها على تربية النشء ورعاية الزوج ، وقد هاجم ( المثقفين ) المصريين بصفة خاصة لسكوتهم وعدم تمردهم على هذه الأوضاع ( المنكرة ) .

- ( وقد بدأ الاستعمار الإنكليزى إثر هذه الضجة يبحث عن وسيلة لشد أزر مرقص فهمى ، فلجأ إلى الأميرة ( نازلى فاضل )[1] ليستعجلها على عمل شيء يساند مرقص فهمى من خلال صالونها )[2] .

---

(١) ( وهى ابنة الأمير « مصطفى فاضل » باشا نجل « إبراهيم » باشا ابن « محمد على » باشا الكبير ، كان والدها « مصطفى فاضل » يعتبر نفسه أحق بعرش مصر من الخديو إسماعيل ، ومن هنا كانت الأميرة نازلى تعلن الحرب على الخديو عباس ) ا هـ من جريدة المساء ، الخميس ٤ أغسطس ١٩٨٣ م من مقالة ( هل انتحر محرر المرأة ؟ ) للصحافى مصطفى أمين .

(٢) الحركات النسائية فى الشرق لمحمد فهمى عبد الوهاب ص (١٣-١٤) طبعة دار الاعتصام .

## قاسم أمين ( ١٨٦٥ م – ١٩٠٨ م )
## فتنة الأجيال ، وداعية السفور فى عهد الاحتلال

### « الخطوة الأولى » رَدُّه على داركير :

قرأ قاسم أمين[1] كتاب ( داركير ) عن المصريين ، فحاول أن يدافع عن المصريين والإسلام ، وألف ردًّا بالفرنسية ، حاول فيه تفنيد اتهاماته لمصر والمصريين ، وبين فيه فضائل الإسلام على المرأة المصرية ، ورفع من شأن الحجاب ، وعدَّه دليلاً على كمال المرأة ، وحاول شرح الحكمة الإيجابية فى قوانين الشرع الإسلامى ، إلا أن دفاعه قد بدا تبريرياً ، وشرحَه قد اتسم بالخنوع والذلة فيقول وكأنه يناشد داركير أن يعتبر ( الإسلام ) فى مرتبة ( المجوسية ) : ( إن الإسلام دين خلقى ، لا يقل عن المجوسية ولا عن المسيحية ، وإن روح القرآن لا تختلف عن الروح الإنجيلية )(٢) ا هـ ويقول أيضا : ( .. ولهذا كان أمامها – أى مصر – طريقان : العودة إلى تقاليد الإسلام ، أو محاكاة أوربا ، وقد اختارت الطريق الثانى ... إنها قد خطت اليوم بعيداً فى هذا الطريق حتى ليصعب عليها الارتداد عنه ، إن مصر تتحول إلى بلدٍ أوربى بطريقة تثير الدهشة وقد أخذت إدارتها وأبنيتها وآثارها وشوارعها وعاداتها ولغتها وأدبها وذوقها وغذاؤها وثيابها تتسم كلها بطابع أوربى .. لقد اعتاد المصريون قضاء الصيف فى أوربا ( ؟ ! ) كما اعتاد الأوربيون قضاء الشتاء فى مصر ، فلعل أوروبا تقدر لمصر

---

(١) كان أبوه ( أمين بك ) ابن أمير من أمراء الأكراد ، أُخِذ رهينة فى الأستانة على أثر خلاف وقع بين الدولة العلية والأكراد ، ثم جاء إلى مصر فى عهد إسماعيل باشا ، وانتظم فى الجيش المصرى ، ورقى فيه إلى رتبة أميرالاى ، وتزوج بكريمة ( أحمد بك خطاب ) أخى ( إبراهيم باشا خطاب ) فولدت له أولاداً ، كان أكبرهم ( قاسم ) . ا هـ من « بناة النهضة العربية » لجرجى زيدان ص (٩٩) طبعة دار الهلال .

(٢) ( قاسم أمين – الأعمال الكاملة ) تحقيق د . محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦ – ( ج ١ / ص ٢١٧ ) .

مسيرتها ، ولعلها ترد لها يوماً بعض هذا الود الكبير الذى تكنه لها مصر )[1] ا هـ ، ومما يجدر الإشارة إليه أن قاسماً استنكر فى كتابه - المصريون - خطة بعض السيدات المصريات اللائى يتشبهن بالأوربيات ، فاقتنص بعض خصومه الفرصة ، ووشوا به إلى الأميرة نازلى بأن قاسماً إنما يعنيها هى بهذا التعريض بذم المصريات اللائى يقلدن الإفرنجيات ، ويسرن سيرتهن ، لأنه لم يكن فى نساء مصر آنذاك من يتشبه بالنساء الأوربيات غيرها[2] ، فقد كانت الوحيدة التى تختلط بالرجال ، وتجالسهم فى صالونها الذى افتتحته آنذاك ليكون مركزاً تبث منه الدعوة إلى التغريب عامة ، وإلى ( تحرير المرأة ) خاصة[3] .

## رد فعل الأميرة نازلى :

غضبت الأميرة مما فعله قاسم أمين ، وقالت للشيخ محمد عبده قولاً شديداً بعد أن هددت ، وتوعدت ، وقد أشير إلى جريدة ( المقطم ) لسان حال الإنكليز فى مصر فى ذلك الوقت - أن تكتب ست مقالات تتعقب آراء قاسم آمين فى كتابه ( المصريون ) وتفند أخطاءه فى دفاعه عن الحجاب ، واستنكاره الاختلاط بين الجنسين ، ولكن لم تلبث هذه الحملة أن ألغيت بعد أن اقتنع قاسم أمين بضرورة تصحيح خطئه ، واتفق معه سعد زغلول ومحمد عبده على أن ينشر

---

(١) المصدر السابق ( ١ / ٢٦٣ ) .

(٢) من مقال لداود بركات رئيس تحرير الأهرام ( جريدة الأهرام مايو ١٩٢٨ ) .

(٣) [ وكان من رواد « صالون الضرار » هذا سعد زغلول والشيخ محمد عبده ، واللقانى ، ومحمد بيرم ، وغيرهم ، وكانت نازلى تؤيد هؤلاء فى قصر الدوبارة وهو مقر المندوب السامى الانكليزى ضد قصر عابدين ، وتسعى لترقيتهم . وهم يعتمدون عليها فى كل أمر ، وكانت الأميرة نازلى قد افتتحت هذا المنتدى إثر عودتها إلى مصر بعد الاحتلال ، وبعد أن قويت روابطها مع اللورد كرومر ، واتخذت من المعتمد البريطانى أداة لحماية روّاد هذه الدعوة وتعبئتهم لتوجيه هذه الحركة متى أمكن ذلك ] ا هـ من ( الأخوات المسلمات ص ٢٤٠ وما بعدها ) ، ( الحركات النسائية فى الشرق ) ص ١٥ ، مقالة داود بركات فى عدد الأهرام الخاص بمرور ٧٥ عاما على تأسيسه .

كتابا يصحح فيه خطأه ويؤيد فيه الكونت داركير ، ويواصل مناصرته لكتاب ( المرأة فى الشرق ) للقبطى مرقص فهمى ، وهكذا ، خرج قاسم أمين على البلاد بكتابه ( تحرير المرأة ) سنة ١٨٩٩ م ، ودعا فيه إلى نفس ما سبق أن دعا إليه ذلك الصليبى بحذافيره ، اللهم إلا أنه لم يتعرض لمسألة زواج المسلمات من الأقباط .

**الخطوة الثانية :**

## كتاب « تحرير المرأة »(١)

### ظروف تأليف الكتاب :

كتب ( فارس نمر ) صاحب ( المقطم ) فى مقال له فى مجلة ( الحديث ) الحلبية عام ١٩٢٩ م يقول : (إن الشيخ « محمد عبده » تطوع للقيام بهذه المهمة(٢) ، وتحدث الشيخ « محمد عبده » مع الأميرة « نازلى » فى هذا الشأن ، واتفق « محمد عبده » و « سعد زغلول » و « محمد المويلحى » وغيرهم على أن يتقدم « قاسم أمين » بالأعتذار إلى سمو الأميرة ، فقبلت اعتذاره ، ثم أخذ يتردد على صالونها ، وارتفع مقامها لديه ، وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة ، الذى كان الفضل فيه للأميرة نازلى ، والذى أقام الدنيا وأقعدها ، بعد أن كان قاسم أمين أكثر الناس دعوة إلى الحجاب )ا هـ .

---

(١) بتأمل عنوان الكتاب يتبين لنا أنه كان يعتبر المرأة مستعبدة ، وقد أخذ على نفسه أن يحررها ، وقد جاء فى مجلة الهلال أنه كان ( يعلم ما يعتور مشروعه من العقبات ، وما سيلقاه من مقاومة تيار الرأى العام ، لأن اصلاح المرأة يقتضى منحها الحرية . ويتناول تقبيح الحجاب ، والنهى عن الطلاق وتعدد الزوجات ، مما يعده العامة من قبيل العقائد الدينية ، وهو ليس من الدين فى شىء ، فاضطر أن يبين ذلك فى أثناء بحثه ) ا هـ من مقدمة « أسباب ونتائج لقاسم أمين » ص(١٠)وانظر أيضاً : ( بناة النهضة العربية ) لجرجى زيدان ص(١٠١).

(٢) يشير إلى إيقاف مقالات الهجوم على قاسم أمين .

## نظرة فى الكتاب :

طبع الكتاب فى سنة ١٨٩٩م ، وقد ألغى فيه أفكاره الدفاعية التى أوردها فى كتابه السابق ( المصريون )(١) سواء المتعلقة بتقييمه للإنسان المصرى ، أو المتعلقة بالمرأة المصرية ، أو أحكام الشّريعة وما يسميه ( المدنية الإسلامية ) ، فبينما نجده فى كتابه ( المصريون ) يصف المصرى بالأمانة والشجاعة والذكاء وقوة الاحتمال ، ويعزى هذه الخصال الجيدة لحقيقة الهوية الإسلامية للمصرى ، نجده يقول بعد خمس سنوات فى كتابه ( تحرير المرأة ) : ( ... فالتركى ، مثلاً ، نظيف صادق شجاع والمصرى على ضد ذلك ، إلا أنك تراهما رغماً عن هذا الاختلاف متفقين فى الجهل والكسل والانحطاط ، إذن لابد أن يكون بينهما أمر جامع وعلة مشتركة هي السبب الذى أوقعهما معاً فى حالة واحدة ، ولما لم يكن هناك أمر يشمل المسلمين جميعاً إلا الدين ، ذهب جمهور ( الأوروباويين ) وتبعهم قسم عظيم من نخبة المسلمين ، إلى أن الدين هو السبب الوحيد فى انحطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم .. )(٢) وقد انصرف جهد المؤلف فى هذا الكتاب إلى التدليل على ما زعمه من أن ( حجاب المرأة بوضعه السائد(٣) ليس من الإسلام ، وأن الدعوة إلي السفور(٤) ليس فيها خروج على الدين أو مخالفة لقواعده ) ، ويقول : ( إننا ظلمنا الإسلام ، وعرضناه لأن ينسب إليه الغربيون تأخر المرأة الشرقية )(٥) .

وقد تناول فى كتابه هذا أربع مسائل وهى : الحجاب ، واشتغال المرأة

---

(١) بل لم يحاول نقل كتابه ( المصريون ) إلى اللغة العربية ولا إعادة إصداره فى مصر .

(٢) ( قاسم أمين – الأعمال الكاملة ) ( ٢ / ٧٢ ) .

(٣) يقصد تغطية المرأة جميع بدنها عن الأجانب .

(٤) يقصد به كشف المرأة وجهها .

(٥) تحرير المرأة ص(١١).

بالشئون العامة ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، وهو يذهب فى كل مسألة من هذه المسائل إلى ما يطابق مذهب الغربيين ، زاعماً أن ذلك هو مذهب الإسلام- قال : ( سيقول قوم إن ما أنشره اليوم بدعة ، فأقول إنى أتيت ببدعة ، ولكنها ليست فى الإسلام ، بل فى العوائد وطرق المعاملة التى يحمد طلب الكمال فيها[1] .

والذى يهمنا فيما نحن بصدده ، ما كتبه فيما يتعلق بالحجاب :

لقد اعتبر قاسم أمين الحجاب ( أصلاً من أصول الأدب يلزم التمسك به ، ولكنه يطالب بأن يكون منطبقاً على الشريعة الإسلامية )[2] ، ثم يقول : ( إن الشريعة ليس فيها نص يوجب الحجاب على الطريقة المعهودة ) وإنما هى فى زعمه ( عادة عرضت لهم من مخالطة بعض الأمم ، فاستحسنوها ، وأخذوا بها ، وألبسوها لباس الدين ، كسائر العادات الضارة التى تمكنت فى الناس باسم الدين ، والدين منها براء )[3] .

ثم يورد قاسم أمين قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ الآيتان [4] .

ثم يقول : ( إن الآية قد أباحت أن تظهر بعض أعضاء من جسم المرأة أمام الأجنبى عنها ، غير أنها لم تُسَمِّ تلك المواضع ، وقد قال العلماء[5] : إنها وكلت فهمها وتعيينها إلى ما كان معروفاً فى العادة وقت الخطاب ، واتفق الأئمة

(١) مقدمة ( أسباب ونتائج ) ص ١٢ .
(٢) تحرير المرأة ص ٥٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٥٩ .
(٤) سورة النور ( ٣٠ - ٣١ ) .
(٥) كذا (!) ولم يسمِّ واحداً منهم ، وهيهات .

على أن الوجه والكفين مما شمله الاستثناء فى الآية ، ووقع الخلاف بينهم فى أعضاء أخر كالذراعين والقدمين ) ا هـ .

ثم ينتقل إلى الكلام على الحجاب بمعنى قصر المرأة فى بيتها ، وحظر مخالطتها بالرجال ، فيقول : ( إن الحجاب بهذا المعنى هو تشريع خاص بنساء النبى ﷺ ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾[1] الآية ، وقوله تعالى : ﴿ **يانساء النبى لستن كأحدٍ من النساء** ﴾[2] الآية .

أما نساء المسلمين عامة فهن – فى زعمه – مبيحات عن الخلوة بالأجنبى فقط )[3] ا هـ .

ويستمر ( قاسم ) بنفس التهافت فى علاج القضايا الأخرى ، ويزيد على ذلك تهكمه بالفقهاء ، واستهزاءه بعلماء الشريعة ، بل وبنصوصها الصريحة ، كما فعل فى قضية تعدد الزوجات ، وهو فى كل ذلك يستدل بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، ثم يعرض لشرحها شرحاً ملتوياً مغرضاً يوجه لتبرير فكرة معينة ، يحاول أن يسخر النصوص لخدمتها تلبيساً على ضحاياه المخدوعين .

وما أصدق ما قاله بعض معاصريه : ( ما رأيت باطلاً أشبه بحق من كلام قاسم أمين ) ، بل هذا « أحمد شوقى » يشير إلى لباقة « قاسم أمين » فى دعم دعوته

---

(١) الأحزاب (٥٣) .

(٢) الأحزاب (٣٢) .

(٣) اقتضت الضرورة « عدو المرأة المسلمة » أن يتظاهر فى بعض المواضع بمظهر المسلم الوقور الغيور على دينه ، الحافظ لحدود الله ، المحترم للفقهاء والأدلة الشرعية ، بينما تخلى عن هذا القناع فى مثل قوله : فى البلاد الحرة قد يجاهر الإنسان بأن لا وطن له ، ويكفر بالله ورسله ، ويطعن على شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم .. يقول ويكتب ما شاء فى ذلك ، ولا يفكر أحد أن ينقص شيئاً من احترامه لشخصه متى كان قوله صادراً عن نية حسنة واعتقاد صحيح (!) ، كم من الزمن يمر على مصر قبل أن تبلغ هذه الدرجة من الحرية ؟ ) ا هـ من ( قاسم أمين . الأعمال الكاملة ) ( ١ / ١٦٥ ) .

بالقرآن والسنة ، متسائلاً : أكان قاسم أمين يَغَار على الإسلام أم يُغير عليه ؟! .

ولك البيـان الجذل فى أثنائـه العلـم الغزيـرْ
فى مطلب خشنٍ كثـ يرٌ فى مزالقه العُثور
ما بالكتـاب ولا الحديـ ث إذا ذكرتهما نكير
حتى لنسألُ هل تغـ ـار على العقائد أم تُغير ؟[1]

وقد علق الدكتور محمد محمد حسين على هذا المنهج اللئيم بقوله : ( أحب أن أسأل الذين يحاولون أن يسوغوا باطلهم الذى يقحمونه على إسلامنا بمزاعم يتحايلون على إلصاقها بالدين ونصوصه ، أحب أن أسأل سؤالاً حاسماً يفرق بين الحق والباطل : هل تعلمون أن أحداً من المسلمين قد دعا قبل اليوم بدعوتكم ؟ فإذا كان ذلك لم يحدث من قبل فهل تستطيعون أن تزعموا أن صحابة رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم وفقهاء المسلمين قد غفلوا جميعاً عن فهم نصوص دينهم ، حتى جاء هؤلاء الذين أوحى إليهم شياطين الجن والإنس فى باريس من أمثال « قاسم أمين » ، فانتكس تفكيرهم بين معاهدها ومباذلها ، حين لم يعتصموا من دين الله بحبل متين ، ولم يأووا بهديه إلى ركن شديد ، يذود عنهم كل شيطان مريد ، وذلك حين بُعِثوا إلى تلك البلاد لينقلوا إلينا الصالح النافع من علومها وصناعاتها ، فضلوا الطريق ، وعادوا إلينا بغير الوجه الذى بعثوا به ، جاء هؤلاء بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن ليخرجوا للناس حقائق التنزيل التى غاب علمها عن الأولين والآخرين من الفقهاء والمفسرين ، ويضربوا بإجماع المسلمين فى الأجيال المتعاقبة والقرون المتطاولة عُرْض الحائط ، أليس ابتداع هذه الدعوة فى ظل الاحتلال الإنكليزى ، وتزعم فريق من المتفرنجين الذين عرفوا بموالاة ذلك الأجنبى المحتل ، هو وحده دليلاً كافياً على أنها طارئة علينا من الغرب تقليداً لمذاهب أهله المبتدعين فى دينهم بأهوائهم وأهواء رؤسائهم ، والخارجين على نصرانيتهم وكتابها ) اهـ[2] .

(١) الشوقيات ( ٢ / ١٦٨ ) .

(٢) حصوننا مهددة من داخلها ( ص ١٢١ – ١٢٢ ) طبعة المكتب الإسلامى ١٣٩٨ هـ .

## هل كان للشيخ محمد عبده ( ١٨٤٢ - ١٩٠٥ م ) دور فى الكتاب ؟

( كان المعروف عن قاسم أمين أنه ليس له إلمام بالعلوم الإسلامية بحيث يتمكن من إضفاء الصبغة الفقهية على كتابه ، ومن هنا شاع بين الناس وقتها أن مؤلفه فى الحقيقة هو أستاذه الشيخ محمد عبده )(١) .

قال الدكتور محمد محمد حسين : ( جاء كتابه - تحرير المرأة - مملوءًا بالمغالطات سواء كان ذلك فى تفسير الآيات القرآنية أو فى النصوص التاريخية والفقهية أو الأدلة العقلية ، وهذا الاتجاه الذى يفسر النصوص تفسيراً جديداً مخالفاً لكل ما هو ثابت متواتر فى تفسيرها هو جزء من اتجاه عام تزعمه الشيخ محمد عبده متذرعاً إليه بالدعوة إلى فتح باب الاجتهاد الذى زعم أن الفقهاء أغلقوا بابه ، وهو يدعو إلى الملاءمة بين الإسلام وبين الحضارة الغربية )(٢) ا هـ .

قال داود بركات رئيس تحرير الأهرام : ( وقد حمل الشيخ « محمد عبده » الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى الرواق العباسى بالأزهر ، حين أعلن أن الرجل والمرأة يتساويان عند الله ، وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب ، أو كان له دور فى مراجعتها )(٣) .

ومما أورده « لطفى السيد » : ( أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ م بالشيخ « محمد عبده » و « قاسم أمين » و « سعد زغلول » ، وأن « قاسم أمين » أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب « تحرير المرأة » وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده )(٤) ا هـ .

---

(١) ، (٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ( ١ / ٢٨١ - ٢٨٢ ) للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله .

(٣) الأهرام - مايو ١٩٢٨ ، وانظر بحث ( إبطال بدعة المساواة بين الرجل والمرأة ) فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

(٤) نقلاً عن كتاب ( الأخوات المسلمات ) ص ٢٤٧ .

وقال د . محمد عمارة جامع الأعمال الكاملة لقاسم أمين ومحققها : ( .. ففى تحرير المرأة وبالذات فى الفصول التى تتناول وجهة نظر الشريعة والدين فى هذه القضية ، نلتقى بمجموعة من الآراء الفقهية والمناقشات لا يستطيع أن يبحثها ، ولا أن يستخلصها كاتب مثل قاسم أمين .. وأهم من ذلك نجد أحكاماً كلية تدل على أن صاحبها ومصدرها قد استقصى بحث هذا الأمر فى جميع مصادره الرئيسية فى الفكر الإسلامى ، على اختلاف مذاهبه وتياراته الفكرية ، وهو الأمر الذى لا نعتقد أنه قد توافر فى ذلك العصر سوى لقلة قليلة فى مقدمتهم جميعاً الأستاذ الإمام محمد عبده )[1] ا هـ .

بينما يجزم د . محمد عمارة فى موضع آخر بهذه النسبة المشار إليها آنفاً بقوله وهو يعدد إنجازات الشيخ محمد عبده : ( ومن أبرز أعماله الفكرية فى هذه المرحلة ... الفصول التى شارك بها فى كتاب « تحرير المرأة » لقاسم أمين سنة ١٨٩٩ )[2] ا هـ .

**بين « قاسم » و « سعد » :**

قال الصحافى ( مصطفى أمين ) الذى تربى فى بيت ( سعد زغلول ) : ( كان قاسم أمين لا يفترق عن سعد زغلول ، وكان قاسم أمين هو الذى توسط فى زواج سعد زغلول بصفية زغلول ، وكان سعد زغلول هو الذى وقف إلى جوار قاسم أمين عندما أصدر كتاب ( تحرير المرأة ) ، وهوجم بعنف وضراوة ، واتهم بالكفر والـ ... ، ومنع من دخول قصر الخديوى بدعوى أنه يدعو إلى الإباحية ، وأقفل الناس بيوتهم فى وجهه ، وذهب عدد من الشبان المتحمسين إلى بيته فى شارع الهرم ، واقتحموا بيته ، وطالبوا قاسم أمين أن يسمح لهم بأن يجتمعوا بزوجته على انفراد تطبيقاً لدعوته إلى سفور المرأة .

---

(١) ( قاسم أمين الأعمال الكاملة ) المقدمة : دراسة فى فكرة قاسم أمين ص ١٤٤ .
(٢) الإسلام والمرأة فى رأى الإمام محمد عبده ص ١٣٨ .

عندما أقفل كبار المصريين بيوتهم فى وجه « قاسم أمين » فتح « سعد » له بيته ، ودعاه هو وزوجته ليتناول الغداء والعشاء على مائدته ومائدة «صفية زغلول» ، وأصر أن يخرج فى عربته مع « قاسم أمين » ، ويطوف شوارع العاصمة متحدياً للأصدقاء الذين نصحوه بأن لا يظهر مع « قاسم أمين » فى مكان عام ، وإلا ضربه الناس بالطوب ، وعندما وضع قاسم أمين كتابه الثانى « المرأة الجديدة » متحدياً العاصفة الهوجاء ، ومطالباً بأن تحضر المرأة مجالس الرجال ، وتمارس الأعمال الحرة ، أهدى كتابه الجديد إلى «سعد زغلول» صديقه الحميم ونصيره الأول ) [1]ا هـ .

## دور سعد زغلول :

قال العقاد : ( وكان - أى سعد زغلول - رجلاً له رأى فى المرأة ، وفيما ينبغى أن تكون عليه شريكة الحياة ، يخالف رأى السواد الغالب فى تلك الأوقات ، وفى جميع الأوقات ، وحسبه من ذلك أنه هو الذى أعان قاسم أمين زميله وصديقه الحميم على إظهار كتابه فى« تحرير المرأة » وتشجيعه على احتمال ما لقى فى سبيله من سخط وعناء ) [2]ا هـ .

وأيًّاما كان الأمر فقد أحدث الكتاب ضجة عنيفة لأنه صادر من ( مسلم ) يشغل وظيفة مستشار فى الدولة ، سبق له أن هاجم أعداء الحجاب منذ وقت قريب ، ولم تقتصر هذه الضجة على الأوساط الإسلامية الغيورة على دينها ، بل شملت الأوساط « الوطنية » و « الأدبية » .

---

(١) نقلاً عن « جريدة المساء » الخميس ٤ أغسطس ١٩٨٣ مقالة بعنوان ( هل انتحر محرر المرأة ؟ ) هذا وقد ذكر الصحافى مصطفى أمين فى مقالته هذه أنه حدثت قطيعة بين الصديقين حتى الموت تسببت من لعب « قاسم أمين » بالورق « القمار » حتى خسر مبالغ طائلة أودت بثروته ، وأثقلته بالدَّيْن .

(٢) ( سعد زغلول ) تأليف عباس محمود العقاد ص ٥٢٧ .

### ردود فعل كتاب « تحرير المرأة » :

تجلت ردود الفعل فى موجة عارمة من المعارضة ، كان أكثرها مقالات صحافية ، وقد اتهمه المعارضون بالهذيان ، وهاجمه علماء الدين هجوماً عنيفاً ، وحكم الفقهاء بأنه خرق فى الإسلام ومروق من الدين ، وعدها الكثيرون ضرباً من المبالغة فى تقليد الغربيين ، واتهمه آخرون بالجناية على الدين والوطن ، وأنه يرمى إلى قلب الهيئة الاجتماعية المصرية ، وممالأة الإنكليز على ضياع البلاد ، وأنه ينفذ أُمنية من أمانىِّ الأمم الصليبية التى تريد بها هدم الإسلام ، وتقويض الآداب والأخلاق ، واتهموا من يعضد هذه الدعوة بأنه ليس من المسلمين .

### موقف محمد طلعت حرب :

وهذا « محمد طلعت حرب » الذى اقترن اسمه فيما بعد – ويا أسفا – بشئون المال والاقتصاد الربوى ، يؤلف أول كتاب فى الرد على قاسم أمين ، وهو « تربية المرأة والحجاب » استنكر عليه دعوته ، ودافع عن الحجاب ، وكان مما قاله : ( إن رفع الحجاب والاختلاط ، كلاهما أُمنية تتمناها أوربا من قديم الزمان لغايةٍ فى النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوربا بالعالم الإسلامى ) وقال أيضا فى نفس الكتاب :( إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامى فى المشرق ولا فى مصر وحدها – إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل .. بل الفساد الذى عم الرجال فى المشرق )[1] ا هـ .

### موقف مصطفى كامل ( ١٨٧٤ - ١٩٠٨ م ) :

كان للكتاب دوىٌّ شديد فى الأوساط الوطنيةِ ، لأنه كان بمثابة تحدٍّ صريح للرأى الإسلامى العام ، وهجوم سافر ضد الإسلام ، لذلك لم يكن عجباً أن يقف الحزب الوطنى المصرى ، أو بمعنى آخر أن يقف مصطفى كامل من هذه الحركة موقف المقاومة والعناد ، إذ تحسس وراءها الأصابع البريطانية ، فربط بين هذه

---

(١) نقلاً عن كتاب ( المرأة ومكانتها فى الإسلام ) لأحمد عبد العزيز الحصين ص ( ٢٣٢ ) .

الحركة التى يديرها ذلك النادى الذى جمع أذناب الاستعمار وبين الإنكليز على أنها وسيلة من وسائله المتلونة فى القضاء على مقومات الأمة ، فسارع إلى مقاومة هذه الحركة الخائنة وتحذير الأمة منها ، فأشار إليها فى أول اجتماع عام عقده عقب صدور ذلك الكتاب فى الخامس من شعبان سنة ١٣١٧ هـ ، الموافق الثامن عشر من سبتمبر ١٨٩٩ م ، حيث قال :

( إنى لست ممن يرون أن تربية البنات يجب أن تكون على المبادىء الأوربية ، فإن فى ذلك خطراً كبيراً على مستقبل الأمة ، فنحن مصريون ويجب أن نبقى كذلك ، ولكل أمة مدنية خاصة بها ، فلا يليق بنا أن نكون قردة مقلدين للأجناب تقليداً أعمى ، بل يجب أن نحافظ على الحسن من أخلاقنا ، ولا نأخذ عن الغرب إلا فضائله ، فالحجاب فى الشرق عصمة وأى عصمة ، فحافظوا عليه فى نسائكم وبناتكم ، وعلموهن التعليم الصحيح ، وإن أساس التربية التى بدونه تكون ضعيفة ركيكة غير نافعة .. هو تعليم الدين )[1] ا هـ .

وقد بلغ بمصطفى كامل الاهتمام بمقاومة هذه الحركة المسمومة إلى الحد الذى جعله يفتح صدر صحيفة ( اللـواء ) منذ أول ظهورها سنة ١٩٠٠ م لكل طاعن على قاسم أمين وأفكاره ، فكانت « اللواء » – كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل – : ( خصماً لدوداً لقاسمٍ وأفكاره ، وكانت ميداناً لأشد المطاعن عليه )[2] ا هـ .

### الإنكليز يترجمون الكتاب وينشرونه :

وقد كتب مصطفى كامل فى ( اللـواء ) بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٠١ م يقول : ( هذا ، وقد انتشر خبر كتاب « تحرير المرأة » فى جهات الهند ، واهتم الإنكليز بترجمته وبث قضاياه ، وإذاعة مسائله اهتماماً عظيماً ، لما وراء العمل به من فائدة لهم ) ا هـ .

---

(١) « الحركات النسائية » ص ( ١٦ – ١٧ ) .
(٢) « تراجم مصرية وغربية » للدكتور محمد حسين هيكل باشا ص ( ١٥٣ ) .

### من مواقف الشعراء :

وكان للحركة صدى عميق فى نفوس الأدباء والشعراء ، وهذا ( محرم )[1] الذى أعجب به « مصطفى كامل » وطالما أشاد به وبشعره على صفحات ( اللواء ) يقول مستنكراً دعوة قاسم آمين :

أغرَّكِ يا أسماءُ ما ظن قاسمُ !؟ أقيمى وراء الخِدر[2] فالمرء واهمُ
تضيقين ذرعاً بالحجاب وما به سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم
سلام على الأخلاق فى الشرق كله إذا ما استبيحت فى الخدور الكرائم
أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغى بقومك والإسلامِ ما الله عالم
لنا من بناء الأولين بقية تلوذ بها أعراضُنا والمحارمُ
أسائل نفسى إذ دلفْتَ تريدها أأنت من البانين أم أنت هادم ؟
أتأتى الثنايا الغر والطُّرَرُ العلى بما عجزت عنه اللحى والعمائم ؟
فلا ارتفعت سفن الجواء بصاعد إذا حلقت فوق النسور الحمائم
عفا الله عن قوم تمادت ظنونهم فلا النهج مأمون ولا الرأى حازم
ألا إن بالإسلام داءً مخامراً وإن كتاب الله للداء حاسمُ[3]

### الخطوة الثالثة : كتاب « المرأة الجديدة » :

لم يلبث مؤلف ( تحرير المرأة ) حين واجه هذه المعارضة التى أحرجته كثيراً أن « أسفر » عن وجهه الحقيقى ، وخلع عنه ثوب الحياء ، وقناع التدين ، وكشف فى جرأة وصراحة عن أهدافه المغرضة فى كتاب ظهر فى العام التالى ،

---

(١) « أحمد محرم » ( ١٨٧١ – ١٩٤٥ ) عده الأدباء – فى الطبقة الأولى من شعراء جيله ، وسلكوه فى صف شوقى وحافظ ، وطبع شعره الإسلامى بعنوان ( الإلياذة الإسلامية ) سنة ١٩٦٣ .

(٢) الخدر : ستر يمد للجارية فى ناحية البيت ، وجارية مخدَّرة ومخدورة إذا ألزمت الخدور وانظر « لسان العرب » ( ٥ / ٣١٢ – ٣١٥ ) .

(٣) ديوان محرم ( ٢ / ٦٣ – ٦٥ ) الطبعة الأولى ١٣٣٨ هـ – ١٩٢٠ م مطبعة الفتوح بدمنهور .

وهو كتاب ( المرأة الجديدة ) الذى بدا فيه أثر الحضارة الغربية واضحاً ، فالتزم فيه مناهج البحث الأوربية الحديثة ، التى ترفض كل المُسَلَّمات والعقائد السابقة ، سواء منها ما جاء من طريق الدين وما جاء من غير طريقه ، ولا تقبل إلا ما يقوم عليه دليل من التجربة أو الواقع على حسب المنهج الذى يسلكه باحثو الاجتماع الأوروبيون ، وهو ما يسمونه بـ ( المنهج العلمى )[1] ، فتراه يعتمد على آراء مفكرى الغرب ، ويصطنع أساليبهم فى الإحصاء وفى الدراسات النفسية والاجتماعية والتجريبية .

طلب قاسم أمين من المصريين أن يتخلصوا مما وقر فى أنفسهم من أن عاداتهم هى أحسن العادات ، وأن ما سواها لا يستحق الالتفات ، وقال : ( إن طالب الحقيقة لا يجب أن يجرى فى إصدار أحكامه على هذا الضرب من التساهل ، بل يجب أن يعود نفسه على أن يجرى نقده للحوادث الاجتماعية على أسلوب علمى ) ص ٧٥ ، ويقول فى موضع آخر : ( إن التشريح الفسيولوجى والتجربة فى البلاد التى منحت المرأة حريتها قد أثبتت أن المرأة مساوية للرجل فى الملكات ) ويستشهد فى معرض كلامه عن أثر حرارة الجو فى إثارة الشهوة بكلام كاتب إيطالى يقول : ( إن العفة تكتسب بمنح الحرية للمرأة ، وإن اختلاف الأجواء لا أثر له فى ذلك ) ثم يقول فى موضع آخر : ( لما تخلصت المرأة المصرية من الاستعباد رأت نفسها فى أول الأمر فى حيرة لا تدرى معها ماذا تصنع بحريتها الجديدة ، وهكذا يكون الحال بالنسبة لحرية النساء : أول جيل تظهر فيه حرية المرأة تكثر الشكوى منها ، ويظن الناس أن بلاءً عظيماً قد حل بهم ، لأن المرأة تكون فى دور التمرين على الحرية ، ومع مرور الزمن تتعود المرأة على استعمال حريتها ، وتشعر بواجباتها شيئاً فشيئاً ، وترتقى ملكاتها العقلية والأدبية ، وكلما

---

(١) «المرأة الجديدة» ص(٧٥) ، ومما ينبغى التنبه له أن هذا الذى يسميه علماً ليس علماً بالمعنى الصحيح للكلمة ، إلا فيما يتصل بالفروع التجريبية كالطبيعة والكيمياء والهندسة والطب ، أما ما يتصل منه بالنفس والاجتماع والأخلاق فإنه لا يزيد على أنه فروض لحل بعض المشكلات ، ونظريات لتعليل ما غاب عن الحس ، ولذلك فهو دائما موضع أخذ ورد حتى بين دارسى الغرب ، ولا ننسى أن هذه الدراسات النفسية والاجتماعية قد أصبحت موجهة ، وتسخر لخدمة المذاهب والأحزاب السياسية المختلفة ، وأن بعضها يتذرع باسم ( العلم ) ليهدم الدين والخلق ، ويفرض السياسات الاستعمارية .

ظهر عيب فى أخلاقها يداوى بالتربية ، حتى تصير إنساناً شاعراً بنفسه ) (ص ٧٠ – ٧١ ) ، ويقول فى موضع آخر : ( إننا قد ورثنا الصورة التى كوناها عن المرأة من العرب الذين قامت حياتهم – حسب زعمه – على الغزو والنهب ، ومن ثم لم يكن فيها للمرأة نصيب تشارك به فى الدولة ، ثم لم يكن لها نصيب فى تربية الولد ، لأن تربيته كانت مقصورة على تغذية جسمه ، ليشب مقاتلاً لا عالماً فاضلاً ، وصورة المرأة هذه التى ورثها المسلمون – حسب زعمه – عن العرب قد تكون صحيحة بالقياس إلى الماضى ، ولكنها مزورة إذا نظرنا إلى الحال والمستقبل ) ا هـ .

وكان معارضو قاسم أمين يرون أن نهضتنا يجب أن تعتمد على تراثنا القديم وعلى حضارتنا الإسلامية وحدها ، فقام هو بالرد على ذلك بأن ( الحضارة الإسلامية قامت على دعامتين : الأساس الدينى الذى كوَّن من القبائل العربية أمة واحدة ، والأساس العلمى الذى ارتفعت به الأمة الإسلامية وآدابها ) ، ثم يزعم أن العلم وقتذاك كان ضعيفاً فى أول نشأته ، وكانت أصوله ضرباً من الظنون التى لم تؤيدها التجربة ، ولذلك كان قوة العلم ضعيفة بجانب قوة الدين ، فتغلب الفقهاء على رجال العلم ، ووضعوهم تحت رقابتهم ، وزجوا بأنفسهم فى المسائل العلمية ، ينتقدونها ويفتون بمخالفتها لنصوص القرآن والحديث التى يؤولونها ، وبذلك حملوا الناس « حسب زعمه » على إساءة الظن بالعلم ، فنفروا منه وهجروه ، وانتهى بهم الأمر إلى الاعتقاد بأن العلوم جميعاً باطلة إلا العلوم الدينية ، بل قالوا فى العلوم الدينية نفسها إنها يجب أن تقف عند حد لا يجوز لأحد أن يتجاوزه ، ثم تقدمت العلوم ، وظهرت المكتشفات الحديثة ، واستطاع العلم أن يشيد بناء متيناً لا يمكن لعاقل أن يفكر فى هدمه ، وتغلب رجال العلم على رجال الدين[1] ) ، وينتهى قاسم أمين من هذا العرض إلى أن التمدن الإسلامى قد بدأ

---

(١) إن محاولة قاسم أمين إلقاء العداوة بين العلم والدين ما هى إلا مظهر من مظاهر التبعية العمياء للغرب حين سادت العدواة بين النصرانية وبين العلوم التجريبية ، وفى سحب هذا الحكم على الإسلام والمدنية الإسلامية مغالطة تكشف عن جهل بالواقع التاريخى من جهة ، وبحقائق الدين والعلم من جهة أخرى – راجع كتاب ( ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ) للشيخ أبى الحسن الندوى ، وانظر أيضاً ( أضواء البيان ) للشنقيطى ( ٣ / ٣٩٦ – ٤٠٠ ) ، وانظر بحث ( فصل الدين عن السياسة ضلالة مستوردة ) للأستاذ يوسف العظم .

وانتهى قبل أن يكشف الغطاء عن أصول العلم ، فكيف يمكن أن نعتقد أن هذا التمدن كان نموذج الكمال البشرى ؟ .. ثم يبين أن كثيراً من ظواهر التمدن الإسلامى لا يمكن أن تدخل فى نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية ، ويضرب الأمثلة من نظم هذا التمدن فى الحكم ، وهى فى رأيه أقل من المستوى الذى بلغه اليونان والرومان فى كفالة الحريات[1] ، كما يضرب أمثلة من نظام الأسرة ليبين أنه كان غاية فى الانحلال ، وأن الفرق واسع بينه وبين النظم والقوانين التى وضعها الأوربيون لتأكيد روابط الأسرة ) ، ويختم ذلك متسائلاً : ( إذا كانت هذه حالهم ، فما الذى يطلب منا أن نستعيره منها ؟ ... وأى شىء منها يصلح لتحسين حالنا اليوم ؟ ) ثم يقول : ( متى تقرر أن المدنية الإسلامية هى غير ما هو راسخ فى مخيلة الكتاب الذين وصفوها بما يحبون أن تكون عليه ، لا بما كانت فى الحقيقة عليه ، وثبت أنها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ، فسيان عندنا بعد ذلك أن احتجاب المرأة كان من أصولها أو لم يكن ، وسواء صح أن النساء فى أزمان خلافة بغداد والأندلس كن يحضرن مجالس الرجال أو لم يصح ، فقد صح أن الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها فى عصرنا )ا هـ ص ١٨٣ .

ثم يستطرد ( عدو المرأة المسلمة ) قائلاً : ( نحن لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت فى فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها ، فليس خطؤها فى ذلك أكبر من خطئها فى كثير من الأمور الأخرى .. ) ويقول : ( .. والذى أراه أن تمسكنا بالماضى إلى هذا الحد هو من الأهواء التى يجب أن ننهض جميعاً لمحاربتها ، لأنه ميل إلى التدنى والتقهقر .. هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر إلى علاجه ، وليس له من دواء إلا أننا نربى أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية ، ويقفوا على أصولها

---

(١) هذه المقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الرومانية وترجيح كفة الأخيرة تبين أن المعين الذى كان يستمد منه قاسم أمين وأضرابه هو كتابات المتحررين فى أوربا الذين كانوا يحقرون الحضارة المسيحية ويمجدون الحضارة اليونانية واللاتينية الوثنية السابقة على المسيحية ، وما هذه المقارنة الغبية إلا صورة جديدة تدل على التخلف الفكرى والتقليد الأعمى الذى كان يعانى منه ذلك المفتون بحضارة الغرب ، الذى نلاحظ من كتاباته كم كان شامخ الأنف متغطرساً مع مواطنيه ، متعالياً على أمته ، وفى الوقت ذاته مهدور الكرامة مطاطأ الرأس ذليلاً أمام أعداء دينه وأمته ، قد وقف حياته على أن يجذب بمنهاجه السقيم أعناقنا نحن المسلمين وجباهنا – نحن الموحدين – لتستقر أمام أقدام أعدائنا اليهود والصليبيين خاشعة خاضعة .

وفروعها وآثارها ، إذا أتى هذا الحين – ونرجو أن لا يكون بعيداً – انجلت الحقيقة أمام عيوننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربى ، وتيقنا أن من المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية الحديثة ، وإن أحوال الإنسان مهما اختلفت ، وسواء كانت مادية أو أدبية ، خاضعة لسلطان العلم ، لهذا نرى أن الأمم المتمدنة على اختلافها فى الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابهاً عظيماً فى شكل حكومتها وإدارتها ومحاكمها ونظام عائلتها وطرق تربيتها ولغاتها[1] وكتابتها ومبانيها وطرقها ، بل فى كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل هذا هو الذى جعلنا نضرب الأمثال بالأوروبيين، ونشيد بتقليدهم ، وحملنا على أن نستلفت الأنظار إلى المرأة الأوربية ) ا هـ ( ص ١٨٥ – ١٨٦ ) .

### بعض ردود فعل الكتاب :

### موقف مصطفى كامل :

تصدى « مصطفى كامل » من جديد « لقاسم أمين » ، وكتب فى ( اللواء ) بتاريخ ٩ / ٢ / ١٩٠١ م معلقاً على كتاب ( المرأة الجديدة ) : ( أخرجه أخيراً قاسم أمين ليدعم به أمر كتابه الأول ، ويفتح به آفاقاً جديدة لتحلل المسلمين من دينهم وأخلاقهم ) ا هـ .

وحكى مصطفى كامل كيف أن سلطان ملديفى لما بلغه خبر الكتاب ، وسئل عن رأيه فى هذه الاتجاهات قال : ( أما تعليم النساء المسلمات فقد أصبح من المسائل الحيوية للإسلام والمسلمين ، ولكنه لو مال عن طريق الشريعة الغراء

---

(١) من المعروف أن قاسم أمين كان يدعو إلى ثورة فى لغة الأدب وخطته تشبه ثورته الاجتماعية ، فننسلخ من لغة القرآن ، ونكتب آدابنا بلهجاتنا العامية على نحو ما انسلخت اللغات الأوربية الحديثة من أمها اللاتينية ، ونبعد فى خطنا عن الحركات بحروف تدخل فى بنية الكلمة على طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية – ( انظر « الأعمال الكاملة » ١ / ١٥٧ – ١٥٨ ) ولا يخفى ما فى هذا « التكتيك الخبيث » من خدمة عظيمة لأعداء الإسلام تشير بأصبع الاتهام من جديد إلى « قاسم أمين » .

إلى خطة مدنية الغرب الغبراء ، كان معولاً لهدم أركان الإسلام ، وفأساً لفتح القبور لأبنائه ، ودَسِّهم فيها وهم أحياء ، أما رفع الحجاب فلا أرضاه لنسائى وبلادى ، وأما المرأة وحق طلاق زوجها فدعوة لا تصدر من معترفٍ بقول الله فى كتابه : ﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ فنسأل الله السلامة )[1] ا هـ .

وأفسح «مصطفى كامل» لعلماء المسلمين المجال فى جريدة اللواء ليتصدوا لهذه الدعوة الاستعمارية ، وليبينوا حكم الإسلام فيها وفى أصحابها ، ومن هذه البحوث التاريخية ذلك البحث الذى وضعه قاضى قضاة مصر[2] السيد عبد الله جمال الدين أفندى رحمه الله ، ونشرته له « اللواء » فى عدديها رقم ٤٥٦ ، ٤٥٧ بتاريخ ٢٥ ، ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ ، أى فى أواخر سنة ١٩٠٠ م وقد استغرق هذا البحث من كل عدد الصفحة الأولى كاملة ، وثلث الصفحة الثانية[3] .

وبما أن هذه الحركة كانت قد نشأت فى بيئة وطيدة الصلة بالاحتلال البريطانى ، معادية فى نفس الوقت لحاكم البلاد القانونى ( الخديو ) ، فكان من الطبيعى أن يقف منها الخديو موقف العداء ... أولاً : لمنافاتها للإسلام فى وقت كان الحكام والأمراء يفاخرون بالحرص عليه ، وثانياً ، لصلتها بالاحتلال الذى يعمل على حشد القوى المناصرة له ، لمناهضة الخديو ، والحد من سلطانه ، وقد أبرز مصطفى كامل موقف الخديو «عباس حلمى» من هذه الحركة فى اللواء بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٠١ م بعنوان : ( رأى الجناب العالى فى مسألة الحجاب ) وقد جاء فيه ما نصه :

( يرى الجناب العالى حفظه الله فى مسألة الحجاب وإطلاق حرية النساء ، ما يراه الشرع الشريف ويأمر به ، وقد عرف رأى جنابه فى هذا الشأن بأمرين :

---

(١) الحركات النسائية فى الشرق ص (١٨).

(٢) كره بعض العلماء هذا اللقب لشبهه بلقب « شاهنشاه » أى ملك الأملاك المنهى عنه فى السنة الصحيحة .

(٣) وقد طبع حديثاً فى كتيب بعنوان ( حجاب المرأة العفة والأمانة والحياء ) طبع مكتبة التراث الإسلامى ( ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م ) .

الأول : أنه أبى قبول كتاب ( المرأة الجديدة ) عندما ذهب قاسم امين فى الأيام الأخيرة إلى المعية السنية ، والتمس تقديمه إلى سموه .

الثانى : أنه قبل كتاب ( الاحتجاب ) الذى رفعه إليه يوم الجمعة الماضى حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله نقيب الأشراف برودس وقريب مؤلف الكتاب عبد الله جمال الدين أفندى رحمه الله ، وتقبله حفظه الله بكل ارتياح وانشراح ، وأعرب عن عظيم امتنانه من نشره حتى ينتفع به المسلمون ، ويرشدهم إلى الحق والصواب ) ا هـ .

هذا ولم يقف الأمر بالخديو حيال قاسم أمين عند هذا الحد ، بل لقد أصدر أمره بمنعه من دخول القصر فى أى مناسبة ، مع أنه مستشار(١) فى الدولة ، وذلك أنصع فى الدلالة على استنكار الخديو لهذه الحركة الأثيمة(٢) .

---

(١) درس قاسم أمين الحقوق فى فرنسا ، وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م، فتعين وكيلاً للنائب العمومى فى محكمة مصر المختلطة ، وما زال يرتقى حتى صار مستشاراً فى الاستئناف إلى أن مات بالسكتة فى ليلة ٢٣ أبريل ١٩٠٨ م وهو فى الثالثة والأربعين من عمره ، وقد زعم الصحافى مصطفى أمين أنه لم يمت موتا طبيعياً ولكنه انتحر ، وذكر سبب ذلك فى مقالة نشرت بجريدة المساء ( الخميس ٤ / ٨ / ١٩٨٣ ) بعنوان « هل انتحر محرر المرأة ؟ » .

(٢) ومن المواقف ( الملكية ) النادرة ما روته وصيفة « الملكة » نازلى عن شدة معاملة الملك فؤاد لها قالت : [ وفى السبع عشرة سنة التى عاشها الملك مع الملكة لم يسمح لها بالسفر إلى أوروبا سوى مرة واحدة عندما أجمع الأطباء على ضرورة سفرها إلى إحدى مدن المياه المعدنية بفرنسا لتعالج فيها ، وذلك عام ١٩٢٧ م وكان الملك مسافراً لبعض دول أوربا زيارة رسمية ، ورفض أن يصحبها معه فى هذه الزيارات ، واشترط أن تبقى فى أوربا محجبة ، ورفض أن تكون معه على نفس الباخرة ، وأمر بأن تسافر باليخت ( المحروسة ) ليتفادى سفرها بالبواخر العادية حتى لا تختلط بالرجال ، وأمر الملك أن يكون هناك ( ديدبان ) طوال الليل فى الممشى أمام الجناح الخاص بالملكة فى اليخت ، وعندما بدأت الرحلة ، وخيم الظلام فى الليلة الأولى رأت الملكة الديدبان ، فغضبت وهاجت وماجت وأمرت قبطان اليخت المحروسة بسحب الديدبان فوراً ، وقال لها القبطان فى احترام : « إننى أنفذ أوامر جلالة الملك شخصياً » ، وقالت الملكة : « ولكن وجوده هنا يضايقنى ، وصوت حذائه يزعجنى ويقلق نومى » ، ولم يستطع القبطان أن يقول إن صوت الحذاء لا يسمع مع وجود ( البساط ) المفروش على الأرض ، بل قال للملكة : إذا كان صوت حذاء الديدبان يزعج جلالتك فإننى سآمره أن يخلع حذاءه ، وفعلاً كان الجنود الذين يتناوبون الحراسة ليلاً أمام جناح الملكة يخلعون أحذيتهم ، ويقفون حفاة تنفيذاً لأمر الملك من جهة ، وإرضاءً للملكة من جهة أخرى .

وحدثت فى تلك الأيام أن نشرت مجلة ( روز اليوسف ) صورة للملكة نازلى ووجهها مكشوف ، =

## هل رجع قاسم أمين عن آرائه ؟

يذكر بعض الباحثين أن قاسم أمين ( عدل عن رأيه فى عام ١٩٠٦ م ، بعد أن تبين له أنه ضل الطريق ، وذلك ضمن حديث له إلى صحيفة « الظاهر » التى كان يصدرها « محمد أبو شادى » المحامى ، أعلن فيه رجوعه عن رأيه ، كما أعلن فيه أنه كان مخطئاً فى الدعوة إلى تحرير المرأة[١] ) .

---

=

فقامت قيامة الملك فؤاد ، وطلب من توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكى أن يطلب من عبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء إغلاق مجلة روز اليوسف بتهمة ( العيب فى الذات الملكية ) .. وحقق مدير المطبوعات مع روز اليوسف ، فقالت : إن الصورة منقولة عن جريدة فرنسية وزعت فى مصر ، واكتفى مدير المطبوعات بتوجيه توبيخ شديد اللهجة إلى روز اليوسف .

وكان الملك فؤاد يحرص أن لا تبدو الملكة نازلى سافرة أمام رجل ، حتى أنها كانت لا تستطيع أن تتنزه فى حدائق القصر الملكى إلا إذا حجبت نصف وجهها ، وبعدما يتحقق بوليس القصر من عدم وجود رجل فى المنطقة التى ستتنزه فيها الملكة ، وفى الوقت الذى ستتنزه فيه الملكة ، وفى الوقت نفسه يصدر الأمر إلى جنود الحرس الملكى الذين يقفون فوق جدران القصر أن يديروا ظهورهم إلى حديقة القصر طول مدة سير الملكة فى الحديقة ! .

وحدث أن قرر الملك ( أمان الله خان ) ملك أفغانستان أن يزور مصر وهو فى طريقه إلى أوربا ، فصحب الملكة ( ثريا ) زوجته ، ورحب الملك فؤاد بملك أفغانستان ، ثم سمع أن الملك ( أمان الله ) دعا نساء أفغانستان إلى نزع الحجاب اقتداءً بالغازى كمال أتاتورك الذى ألغى الحجاب فى تركيا ، وجاءت البرقيات تقول إن الملكة ثريا سترافق الملك « سافرة » فى رحلته ، وعندئذ ألغى الملك فؤاد استضافته ملك أفغانستان فى قصر عابدين ، بحجة أن التقاليد تحول دون اشتراك الملكة ثريا فى الزيارة الرسمية . وعُرف أن الملك فؤاد لا يريد أن تقيم ثريا فى قصر عابدين حتى لا تُسَمِّمَ أفكار الملكة نازلى ، ووافق الملك ( أمان الله ) على أن تكون إقامة ثريا فى مصر إقامة غير رسمية ، فلا تشترك فى الحفلات والاستقبالات التى يُدْعَى إليها ، ولم يكتف الملك فؤاد بذلك ، بل أبلغ الملك أمان الله أنه يرجو ألا تظهر زوجته سافرة أثناء إقامتها فى مصر مراعاةً لتقاليدها ، وخضعت ثريا لرغبة الملك ، وأصدر الملك فؤاد أمره إلى وزارة الداخلية بعدم محاولة تصوير ملكة أفغانستان ، وفعلاً لم تظهر صورة واحدة للملكة ثريا فى الصحف المصرية طوال مدة إقامتها .

وعندما انتهت الزيارة ، وصعدت ملكة أفغانستان إلى الباخرة الإيطالية التى أقلتها إلى أوربا أسرعت ، ونزعت الحجاب بحركة عصبية ، وقالت للصحافيين : ( أظن أننا لم نعد مقيدين بأوامر الملك فؤاد هنا ) ] ا هـ من مقالات بعنوان ( من عشرة لعشرين ) للصحافى مصطفى أمين – أخبار اليوم ٩ يناير ١٩٨٢ م .

(١) الأخوات المسلمات ص ٢٥٢ .

وهذا نص عبارته : –

قال قاسم أمين : ( لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الإفرنج فى تحرير نسائهم ، وغاليت فى هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب ، وإلى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس . فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات ، فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ، ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى ، واستنفر الناس إلى معارضتى .. )[1].

فإذا صح هذا ( فهل يكون لدى دعاة تحرير المرأة من الشجاعة فى إعلان هذا التحول ؟! حيث قد اعترف قاسم أمين نفسه بعد ذلك بأنه قد أدرك خطر هذه الدعوة بما اختبره من أخلاق الناس )[2] .

وقد كان نشر هذا الكلام قبل موته بعام ونصف ، فلعله رأى – بعد أن تغيرت الظروف بزوال ( كرومر ) وانطفاء نفوذ ( نازلى فاضل ) ربيبته – أن يتخفف من تبعة هذه الدعوة المدمرة ، بل ربما كان لبعض التجارب أثرها فى نفسه ، فمما يُروى ( أن صديقاً عزيزاً « هو المؤرخ الإسلامى رفيق العظم » زاره ذات مرة ، فلما فتح له الباب قال : « جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجكَ فى بعض المسائل الاجتماعية ! » ، فدُهش قاسم أمين ، كيف يطلب مقابلة زوجته ، ومحادثتها ؟ فقال له صديقه : « ألست تدعو إلى ذلك ؟ إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك ؟ » فأطرق قاسم أمين صامتاً )[3] .

---

(١) نقلاً عن كتاب ( رجال اختلف فيهم الرأى ) للاستاذ أنور الجندى ص ٢٩ طبع دار الأنصار .

(٢) الأخوات المسلمات ص ٢٥٢ .

(٣) عن مجلة ( الاعتصام ) عدد رمضان سنة ١٣٩٩ هـ .

قال الأستاذ محمد فريد وجدى معلقاً على دعوة قاسم أمين : ( إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً فى الآداب العامة ، وأحدثت انتشاراً مريعاً فى مبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم غاصَّةً بقضايا هتك الأعراض ، وهرب الشابات من دور أهلهن )[1] ا هـ .

## موت قاسم أمين :

( ومات قاسم أمين سنة ١٩٠٨ ، فأوحى الإنكليز إلى شيعته بإقامة ما يسمى ( حفل تأبين ) له ، فأقاموا هذا الحفل ، وأشادوا فيه بدعوته إلى السفور ، فقابل رجال الحزب الوطنى هذه الحركة بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب ، ولإبراز أصابع الإنكليز فى فتنة السفور )[2] .

## من يحمل اللواء ؟

وبموت «قاسم أمين» لم تهدأ هذه الدعوة إلى ( تدمير ) المرأة إلا قليلاً ، وكيف يهدأ للإنكليز بال والخطة لم تصل بعدُ إلى أهدافها ؟ .

وإن مات قاسم أمين فهناك على الساحة السياسية من يستأنف الدور ، ويحمل اللواء ، هناك « حزب الأمة » وزعاماته المعروفة بعمالتها للإنكليز من أمثال : أحمد فتحى زغلول[3] عضو محكمة دنشواى ، والهلباوى جلادها

---

(١) ( رجال اختلف فيهم الرأى ) ص (٣٠).

(٢) الحركات النسائية فى الشرق ص ١٩ .

(٣) أحمد فتحى زغلول شقيق سعد زغلول ، اشترك فى الحكم على المتهمين فى حادثة دنشواى ، إذ كان أحد قضاة المحكمة المخصوصة ، [ وهى التى أصدر بطرس « باشا » غالى وزير الحقانية بالنيابة قراراً بتشكيلها لمحاكمة المتهمين برياسته هو نفسه – أى بطرس – ، وعضوية كل من ( المستر ) هيتر و( المستر ) بوندوالقائم مقام (لادلو)، وأحمد فتحى ( بك ) زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية ] ا هـ من ( مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ) لعبد الرحمن الرافعى ص (٢٠٣) ، وفيه أيضاً أن ( أحمد زغلول هو الذى كتب الحكم بقلمه ، ورقى بعد الحكم وكيلاً لوزارة الحقانية ، وسماه مصطفى كامل قاضى دنشواى ) ا هـ ص (٤١٩)– وهو المقصود بقول شوقى فى « وداع كرومر » :

أم من صيانتك القضاء بمصر أن      تأتى بقاضى دنشواى وكيــلا ؟

وسفاحها ، وهناك وكلاء الغرب المنضوون تحت لواء هذا الحزب من أمثال ( لطفى السيد ) الذى حمل على عاتقه الدعوة إلى خروج النساء باسم التحرير ، وها هو ذا ( أستاذ الجيل ) أو ( منشىء الوطنية المصرية الحديثة ) على حد تعبير «سلامة موسى» يتحدى المسلمين ، ويدخل الفتيات طالباتٍ فى الجامعة مختلطات بالطلاب ، سافرات الوجوه ولأول مرة فى تاريخ الجامعة المصرية[1] ، وظل ( أستاذ التضليل ) يروج لحركة تحرير المرأة على صفحات ( الجريدة ) لسان حزب الأمة[2] .

---

(١) وكان عضده ونصيره فى تلك الخطوة ( طه حسين ) و ( كامل مرسى ) « المرأة المصرية » لدرية شفيق ص (١٥٣ ، ٢٦٧) .

(٢) ومن المعروف أنه كان من الداعين إلى « إصلاح الخط العربى » سنة ١٨٩٩ وذلك بالدلالة بالحروف على الحركات فتكتب سعدٌ بالرفع هكذا ( ساعدون ) ، وبالنصب ( ساعدان ) وبالجر ( ساعدين ) ويفك الإدغام فتكتب محمد هكذا ( موحاممادون ) فى الرفع و ( موحاممادان ) فى النصب و ( موحاممدين ) فى الجر ، وهو يوافق فى ذلك القاضى الإنكليزى ( ولمور ) ، « والأب » ( أنستاس الكرملى ) فى خططهما ( المباركة ) للقضاء على لغة القرآن المجيد ومحو الشخصية المسلمة من الوجود .

[ وقد كان ( لطفى السيد ) خصماً خصيماً للعروبة والوحدة الإسلامية ، وكان يدعو إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان ، وكان يدعو إلى اللهجة العامية على وفق ما دعا إليه المستشرقون والمبشرون مثل ( مولار ، ويلكوكس ) رافعا شعار « تمصير العربية بإحياء العامية » ، وكان يقاوم التضامن العربى الإسلامى ، فقد عارض مساعدة المصريين لجيرانهم فى طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالى عام ١٩١١ م ، ودعا إلى التزام الحياد المطلق فى هذه الحرب الإيطالية « التركية » .

ومن مواقفه الشهيرة أنه مجّد اللورد كرومر ، ووصفه بأنه (من أعظم عظماء الرجال ، ويندر أن نجد فى تاريخ عصرنا نداً له يضارعه فى عظائم الأعمال)، ونشر عنه هذا الكلام فى نفس اليوم الذى ألقى فيه كرومر خطاب الوداع ، فسبَّ المصريين جميعاً .

وقد رسم ( أستاذ الجيل ) منهجاً للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية فى مصر يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبى والاحتلال البريطانى والفكر الغربى تحت اسم عبارة خادعة هى ( مصر للمصريين ) .

وقد أنشأ ذلك ( الأستاذ ) حزب الأمة الذى كان « صناعة بريطانية » بإجماع الآراء ، وكان هدف هذا الحزب تقنين الاستعمار ، والعمل على شرعية الاحتلال ، والدعوة إلى مهادنة الغاصب ، وتقبل ما يسمح به بدون مطالبته بشىء ! .

أما موقفه من الدين فيلخصه قوله : ( لست ممن يتشبثون بوجوب تعلم دين بعينه ، أو قاعدة أخلاقية بعينها ، ولكننى أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادىء يتمشى عليه المتعلم من صغره إلى كبره ، هذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر ) ] انتهى ملخصا من كتاب ( رجال اختلف فيهم الرأى ) للأستاذ أنور الجندى ص (٤ – ١١) .

**صدور مجلة « السفور » :**

ولما قامت الحرب العالمية الأولى وكانت الفرصة سانحة لإخفات صوت الإسلاميين ، وتشريد دعاتهم ، وكتم أنفاسهم – اعتقلت السلطات البريطانية رجال الحزب الوطنى ، وانتهز أنصار الحركة النسائية الفرصة ، فأصدروا مجلتهم ( السفور ) باسم ( عبد الحميد حمدى ) ، وقد أخذت على عاتقها نشر الدعوة ضد الحجاب ، وضد الآداب والتقاليد الإسلامية .

وإلى قيام ثورة ١٩١٩ كانت هذه الدعوة الآثمة محصورة فى أضيق الحدود ، حتى أن المتظاهرات اللاتى أغراهن دعاة التحرير بالخروج فى ذلك الحين كن محجباتٍ يرتدين البراقع البيضاء ، ولا يخالطن الرجال[١] .

**جريمة الزعيم :**

( صحبت « صفية زغلول » زوجها « سعد زغلول » فى باريس لحضور مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠ لعرض القضية المصرية ، وقد مكثت صفية ترتدى الحجاب إلى أن غادرت مع سعد زغلول إلى مصر بعد عودته من منفاه ، وعلى ظهر الباخرة التى نقلتهما إلى الإسكندرية ، وجد سعد البحر وقد امتلأ بألوف المخدوعين يستقبلونه بالقوارب ، وقال سعد لصفية : « ارفعى الحجاب » ، وتدخل على الشمسى ، و « واصف بطرس » ! – من أعضاء الوفد – وعارضا فى ذلك ، فقال سعد زغلول : « المرأة خرجت إلى الثورة بالبرقع ، ومن حقها أن ترفع الحجاب اليوم » ، ورفعت صفية زغلول الحجاب ، ثم وقفت إحدى صنائع الاستعمار تخطب فى القاهرة فى احتفال الشعب المخدوع بقدوم « الزعيم » ، وطلب منها رفع الحجاب ، وعندئذ رفعت الحاضرات الحجاب )[٢] اهـ .

---

(١) من ( خمسون عاماً على ثورة ١٩١٩ ) لأحمد عزت عبد الكريم ، أصدرته مؤسسة الأهرام مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة ( ص ١٩٣ – ١٩٧ ) ، وقد ضُمِّن الكتاب صور المتظاهرات فى وسط الطريق وهن يرتدين النقاب الأبيض ، والجلباب الأسود ، فى حين وقف الرجال على جنبات الطريق ينظرون إليهن وقد مضين قدماً .

(٢) الأخوات المسلمات ص ٢٥٥ .

وجاء فى جريدة « الجمهورية » الصادرة فى ( ٢٠ / ٤ / ١٩٧٨ ) فى الذكرى السبعين لموت قاسم أمين تحت عنوان : « تحليل شخصية قاسم أمين » : ( ولما تولى سعد زغلول زعامة الشعب فى عام ١٩١٩ اشترط على السيدات اللواتى يحضرن لسماع خطبه أن يزحن النقاب عما سمح الله به من وجوههن ، وكانت هذه أول مرحلة عملية للسفور ) ا هـ .

وفى رواية : ( نفت بريطانيا « صديقها » سعد زغلول وجماعته إلى جزيرة « سيسل » فترة ، ثم أعادته إلى مصر لتوليه رئاسة الوزارة ، وتوقع معه معاهدة ، فيكون احتلال بريطانيا لمصر شيئاً رسمياً متفقاً عليه ! .

هيء الجو فى الإسكندرية لاستقبال سعد ، وأُعِدَّ سرادق كبير للرجال ، وآخر للنساء المحجبات ، وأقيمت الزينات فى كل مكان ، ونزل سعد من الباخرة ، وعلى استقبال حافل وهتافات ، أخذ طريقه إلى سرادق النساء — دون سرادق الرجال — فلما دخل على النساء المحجبات ، استقبلته « هدى شعراوى » بحجابها ..

**فمدَّ يده – يا ويله – فنزع الحجاب عن وجهها** ، تبعاً لخطة معينة ، **وهو يضحك** .. .

فصفَّقت هدى ...

وصفقت النساء لهذا الهتك المشين ... ونزعن الحجاب .

ومن ذلك اليوم أسفرت المرأة المصرية ، استجابة لـ (رجل الوطنية ) سعد ، وأصبح الحجاب نشازاً فى حياة المسلمة المصرية . .

لقد فعل سعد بيده ما دعا إليه اليهودى القديم بلسانه ، فكلّفه دمه[1] ، أمّا سعد .... ؟! )[2] ا هـ .

ويستنكر الشيخ مصطفى صبرى – رحمه الله – هذه الجريمة التاريخية البشعة قائلاً : ( وكأنى بعلماء الدين سكتوا عند وقوع تلك الحادثة احتراماً لسعد ، أو انتقده عليه قليل منهم من غير تصريح باسمه كما هو المعتاد عند علماء مصر فى النقد ، ولكن النهى عن المنكر ليس بجهاد مع الهواء ، وإن الحق وخاطر الإسلام أكبر من سعد وألف سعد ، وإنى تذكرت هنا سعداً الصحابىَّ رضى الله عنه ، وقول النبى ﷺ فيه[3] : « **أتعجبون من غيرة سعد ؟ والله لأنا أغير منه ، والله أغير مِنِّى** »[4]) ا هـ .

---

(١) لعله يشير إلى ما رواه ابن هشام عن محمد بن إسحاق ( وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة ، عن أبى عون ، قال : كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ؛ فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها . فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع ) ا هـ من « السيرة النبوية » لابن هشام مع « الروض الأنف » للسهيلى ( ٣ / ١٣٧ ) . وإسناده مرسل معلّق ( انظر : دفاع عن الحديث النبوى والسيرة ) للشيخ ناصر الدين الألبانى ص(٢٦ – ٢٧) .

(٢) « المرأة المسلمة » للشيخ وهبى سليمان غاوجى الألبانى ص (١٨٨) .

(٣) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال سعد بن عُبادة رضى الله عنه : « لو رأيت رجلاً مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح » فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « تعجبون من غيرة سعد ؟ والله لأنا أغير منه ، والله أغير منى ، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » الحديث « جامع الأصول – فى أحاديث الرسول ﷺ » بتحقيق الأرناؤوط ( ٨ / ٤٣٢ ) .

(٤) « قولى فى المرأة » للشيخ مصطفى صبرى رحمه الله ( ص ٧٤ – ٧٥ ) .

## من مواقف « الزعيم » :

لقد بدأ ( الزعيم ) حياته السياسية صديقاً للإنكليز ، وختمها كذلك صديقاً للإنكليز[1] ، وبدأها بمصاهرة أشهر صديق عرفته مصر فى تاريخ الاحتلال الإنكليزى من أوله إلى آخره ، وهو « مصطفى فهمى » باشا ، ( وقد اختار اللورد كرومر سعداً وزيراً للمعارف ، فحاول بمجرد تعيينه إحباط مشروع الجامعة المصرية ، وتصدى للجمعية العمومية حينما طالبت الحكومة فى مارس ١٩٠٧ بجعل التعليم فى المدارس الأميرية باللغة العربية ، وكان وقتئذ بالإنكليزية ، وكان الاحتلال هو الذى أحل اللغة الإنكليزية محل العربية فى التدريس[2] ) ( وبعد تعيينه وزيراً أراد مجموعة من النساء المصريات فى القاهرة أن يجتمعن به لأمر من الأمور ، فدخل عليهن ، وبهت ، إذ فوجىء بأنهن يسدلن الحجاب على وجوههن ، فرفض الدخول والاجتماع بهن إلا أن يكشفن وجوههن ، فأبين ذلك ، ولم يحصل الاجتماع )[3] .

ومن هنا فلا تعجب إذا رأيت مصطفى كامل يعلق على تصرفات الوزير

---

(١) بل إن مما يحتاج إلى الفحص والتدقيق ما جاء فى كتاب ( الأخوات المسلمات ) نقلاً عن مجلة ( المصور ) فى عددها الخاص الصادر فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٧ بعد وفاة سعد زغلول ، فقد نشرت المصور صورة الجنازة تحت عنوان : ( الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم ) وتحت الصورة مباشرة كتبت العبارة التالية : ( وفد البنائين الأحرار — الماسون — فى تشييع جنازة الزعيم الكبير ، وكان رحمه الله قطباً من أقطاب الماسونية ) ومن قبل ذلك نشرت جريدة ( المقطم ) فى عددها الصادر يوم الجمعة ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ فى الصفحة الأولى العبارة التالية : ( حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم .. فقدت الماسونية المصرية ، بفقد سعد العظيم الخالد عضداً كبيراً ، وفضلا كثيراً ، وذخراً وفيراً ، كانت تعتز بفضله .. وستقام حفلة جناز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد ) اهـ .

(٢) ( مصطفى كامل ) للرافعى ص (٢٣٩، ٤٢١) وانظر مواقفه ( الوطنية ) المماثلة فى ( الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ) للدكتور محمد محمد حسين ( ٢ / ٣٧٣ — ٣٩٣ ) .

(٣) من مقالة بقلم « فاطمة عصمت زكريا » ملحقة بكتاب ( المرأة ومكانتها فى الإسلام ) لأحمد الحصين ص (٢٠٨) .

« سعد زغلول » قائلاً : إن الناس قد فهموا الآن أوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا اختار اللورد كرومر لوزارة المعارف العمومية صهر رئيس الوزراء «مصطفى فهمى باشا» الأمين على وحيه الخادم لسياسته ... ألا إن الذين كانوا يحترمون الوزير كقاضٍ ليأسفون على حاضره كل الأسف ، وليخافون على مستقبله كل الخوف ، ويفضلون ماضيه كل التفضيل ، ذلك لأن الوزير قائم الآن على منحدر هائل مخيف)[1]اهـ، ولنختم هذا الفصل بما كتبه سعد زغلول عن اللورد كرومر ، قال : ( كان يجلس معى الساعة والساعتين ، ويحدثنى فى مسائل شتى كى أتنور منها فى حياتى السياسية )،( وكان يصفه بأن صفاته - أى كرومر - قد اتفق الكل على كمالها ) وكان سعد فى مقدمة الداعين إلى إقامة حفل لتوديع اللورد كرومر الذى سب فى خطاب وداعه المصريين جميعاً ولم يمدح إلا رجلاً واحداً هو « سعد زغلول » وأعلن أنه يترك مصر مستريحاً لأنه أقام فعلاً القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال ، وصدق فقد ألف فى ذلك العام « حزب الأمة » ، وأصبح « لطفى السيد » حامل لواء « الجريدة » وعين « سعد زغلول » ناظراً للمعارف ، وقال كرومر فى تعليل هذا التعيين : ( إنه يرجع أساساً إلى الرغبة فى ضم رجل قادر ومصرى مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالإصلاح فى مصر ) ، ( كما أن سعداً من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم « جيروند » الحركة الوطنية المصرية ، والذى كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر ، الأمر الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد فى قيام الوطنية المصرية )[2] .

---

(١) ( مصطفى كامل ) للرافعى ص (٤٢٢) .

(٢) انظر ( رجال اختلف فيهم الرأى ) لأنور الجندى ص (١٦ - ١٨) .

# الاستعمار الأوربى
## حملة صليبية جديدة

﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم إن استطاعوا ﴾
( البقرة ٢١٧ )

كان الجندى الإيطالى يرتدى لباس الحرب ، قادماً لاستعمار بلاد الإسلام ، وهو ينشد بأعلى صوته :

( يا أماه ..
أتمى صلاتك .. ولاتبكى
بل اضحكى ، وتأملى .. ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى
وأنا ذاهب إلى طرابلس
فرحاً مسروراً ..
لأبذل دمى فى سبيل سحق الأمة الملعونة ..
ولأحارب الديانة الإسلامية ..
سأقاتل بكل قوتى لمحو القرآن .. )[1] .

( والمتتبع لتاريخ العلاقات ما بين الغرب وشعوب الإسلام ، يلاحظ حقداً مريراً يملأ صدر الغرب حتى درجة الجنون ، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة فى النفسية الأوربية .

هذا الحقد ، وذلك الخوف ، لا شأن لنا بهما إذا كانا مجرد إحساس نفسى شخصى ، أما إذا كانا من أهم العوامل التى تبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية ، سياسياً ، واقتصادياً ، وحتى هذه الساعة ، فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم .

---

(١) ( قادة الغرب يقولون ) نقلا عن القومية والغزو والفكرى ص (٢٠٨) وهذه الانشودة المشهورة تسمى ( أغنية الفاشيست ) كانت جيوش الطليان الجرارة تترنم بها وهى تسير مدججة بالسلاح فى طرقات طرابلس وبرقة بصوت واحد ( انظر الاتجاهات الوطنية ٢ / ١٥٧ ) .

سوف تشهد لنا أقوال قادتهم أن للغرب ، والحضارة الغربية بكل فروعها القومية ، وألوانها السياسية موقفاً تجاه الإسلام لا يتغير ، إنها تحاول تدمير الإسلام ، وإنهاء وجود شعوبه دون رحمة .

حاولوا تدمير الإسلام فى الحروب الصليبية ، ففشلت جيوشهم التى هاجمت بلاد الإسلام بالملايين ، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا .. ثم ليعودوا إلينا ، بجيوش جديدة ، وفكر جديد ، وهدفهم تدمير الإسلام من جديد )[1] .

ومهما حاولت هذه الحملات الاستتار تحت راية « نشر الحضارة والتقدم » فى البلاد المستعمرة ، فإن الحقيقة التى لا تخفى على كل ذى لب أن الغرب بنى ، ولا يزال يبنى علاقاته معنا على أساس أن الحروب الصليبية بيننا وبينه لا تزال مستمرة ، وهاكم البراهين على ذلك :

● فسياسة أمريكا معنا تخطط على هذا الأساس :

قال (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية ، ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ ( يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة ، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب ، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى .

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى ، فلسفته ، وعقيدته ، ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى ، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامى ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام وإلى جانب العالم الغربى والدولة

---

(١) ( قادة الغرب يقولون ) للأستاذ جلال العالم ص(٦ – ٧)طبعة المختار الإسلامى .

الصهيونية ، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها )[1] ا هـ .

● والحرب الصليبية الثامنة قادها أللنبى :

قال « باترسون سمث » فى كتابه « حياة المسيح الشعبية » : ( باءت الحروب الصليبية بالفشل ، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك ، حينما بعثت إنكلترا بحملتها الصليبية الثامنة ، ففازت هذه المرة ، إن حملة أللنبى على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هى الحملة الصليبية الثامنة ، والأخيرة )[2] .

ولذلك نشرت الصحف الريطانية صور أللنبى ، تحتها عبارته المشهورة التى قالها عندما فتح القدس : ( اليوم انتهت الحروب الصليبية ) ، ونشرت هذه الصحف خبراً آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف أللنبى وحده بل هو موقف السياسة الإنكليزية كلها ، قالت الصحف :

( هنأ « لويد جورج » وزير الخارجية البريطانى الجنرال « أللنبي » فى البرلمان البريطانى ، لإحرازه النصر فى آخر حملة من الحروب الصليبية ، التى سماها لويد جورج : الحرب الصليبية الثامنة ) .

● **والفرنسيون أيضاً صليبيون :**

فالجنرال ( غورو ) عندما تغلب على جيش ( ميسلون ) خارج دمشق توجه فوراً إلى **قبر صلاح الدين الأيوبى** عند الجامع الأموى ، وركله بقدمه قائلاً : « **ها قد عدنا يا صلاح الدين** »[3]، وقد صرح القائد الفرنسى ( بيير كيلر ) بهذه الدوافع الصليبية حيث قال فى كتابه ( القضية العربية فى نظر الغرب )[4] : ( إن مصالح

---

(١) المصدر السابق ص(٢٥ – ٢٦)نقلاً عن ( معركة المصير ) ص (٨٧ – ٩٤)
(٢) السابق عن مجلة الطليعة القاهرية – مقال وليم سليمان عدد ديسمبر ١٩٦٦ – ص ٨٤ .
(٣) السابق نقلاً عن ( القومية والغزو الفكرى ) ص(٨٤)
(٤) ص ١١٩ عن ( الاتجاهات الوطنية ) (٢ / ٢٠) .

فرنسا فى الشرق الأوسط هى قبل كل شيء مصالح روحية ، وتعود هذه العلاقات إلى عهد الصليبيين ، حيث وقعت معاهدات لحفظ الأماكن المقدسة ، وجددت هذه المعاهدات على مر القرون ، وتحملت فيها فرنسا مهمة حماية نصارى الشرق ) اهـ .

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله ( بيدو ) وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين ، وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة فى « مراكش » أجابهم :

« إنها معركة بين الهلال والصليب »[1] .

وفى ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر قال الحاكم الفرنسى فى الجزائر : ( إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ، ويتكلمون العربية ، فيجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم )[2] .

● وبعد سقوط القدس عام ١٩٦٧ :

قال راندولف تشرشل : « لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء ، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود ، إن القدس قد خرجت من أيدى المسلمين ، وقد أصدر الكنيست اليهودى ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ، ولن تعود إلى المسلمين فى أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود »[3] .

● وعندما دخلت قوات إسرائيل القدس عام ١٩٦٧ م تجمهر الجنود حول حائط المبكى ، وأخذوا يهتفون مع « موشى ديان » :

« **هذا يوم بيوم خيبر .. يا لثارات خيبر** » .

● وخرج أعوان إسرائيل بمظاهرات قبل حرب ١٩٦٧ تحمل لافتات فى

---

(١) السابق ص(٢٨)نقلاً عن ( القومية والغزو الفكرى ) ص(٨٤)

(٢) السابق ص(٣٣) نقلاً عن(المنار)عدد ( ٩ / ١١ /١٩٦٢ ) .

(٣) السابق عن ( حرب الأيام الستة ) لراندولف تشرشل ص(١٣٩)من الترجمة العربية .

باريس ، سار تحت هذه اللافتات اليهودي الوجودي ( جان بول سارتر ) ، وقد كتب عليها ، وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين ، هما : « **قاتلوا المسلمين** » .

فالتهب الحماس الصليبي الغربي ، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط ، كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدة كتبت عليها : « **هزيمة الهلال** » ، بيعت بالملايين .. لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوربية فى المنطقة وهى : محاربة الإسلام وتدمير المسلمين[1] .

وهذا « لورنس براون » يقول : ( إن الإسلام هو الجدار الوحيد فى وجه الاستعمار الأوربى )[2] .

وهذا ( جلادستون ) رئيس وزراء إنكلترا[3] وقد وقف فى أواخر القرن الماضى فى مجلس العموم البريطانى وقد أمسك بيمينه القرآن المجيد ، وصاح فى أعضاء البرلمان قائلاً : ( إن العقبة الكئود أمام استقرارنا بمستعمراتنا فى بلاد المسلمين هى شيئان ، ولا بد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر : أولهما هذا الكتاب ، وسكت قليلاً بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق ، وقال : ( وهذه الكعبة )[4] ، وقال أيضاً : ( مادام هذا القرآن موجوداً فى أيدى المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان )[5] .

وهو القائل أيضاً : ( لن تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة ، ويغطى به القرآن )[6] .

---

(١) السابق ص (٣٠ - ٣١) عن ( طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ص ٢٠ - ٢١ ) .

(٢) ( التبشير والاستعمار ) ص (١٨٤) طبعة المكتبة العصرية بيروت ١٩٥٧ م .

(٣) كان ( مصطفى كامل ) قد راسل غلادستون هذا من باريس يسأله رأيه فى مسألة مصر والاحتلال ، فأجابه (غلادستون) جواباً جاء فى جملته (إننا يجب أن نترك مصر بعد أن نتم فيها بكل شرف - وفى فائدة مصر نفسها - العمل الذى من أجله دخلناها ) انتهى من ( بناة النهضة العربية ) ص ٥٨ .

(٤) (الحركات النسائية فى الشرق ) ص ٧ .

(٥) ( الإسلام على مفترق الطرق ) ص (٣٩) .

(٦) ( المرأة ومكانتها للحصين ) ص (١٢) .

وهذا كرومر يقول : ( جئت لأمحو ثلاثاً : القرآن والكعبة والأزهر )[1] .

وبالأمس القريب نشرت جريدة ( الأمة ) أن رئيس أمريكا ( ريجان ) وجه إليه أحد الصحافيين سؤالاً نصه : ( متى تنتهى مهزلة ما يحدث فى بيروت والدماء تنزف ؟ ) فأجاب رئيس أمريكا فى غرور واضح : ( إننا لا نزال صليبيين ! ولابد من إنهاء المناوشات بين المسلمين واليهود ، وحماية أتباع المسيح فى لبنان من المسلمين الغرباء )[2] .

[ بل هذه قلعة ( الشقيف ) القائمة على تل فى جنوب لبنان ، ويسميها الأوربيون قلعة ( بوفور ) نسبة إلى القائد الذى أقامها أيام الحروب الصليبية منذ قرون ، وقد كانت محل قصف دائم من إسرائيل طيلة سنوات ، وفى اكتساحها للجنوب ، لم تتمكن من إخراج المقاومة منها إلا بعد أن دمرتها تماماً ، واستدعى يومها الجنرال إيتان قائد الجيش الإسرائيلى مناحم بيجن إلى أطلال القلعة ليقدم له القلعة هدية ، وجاء بيجن ليرفع عليها العلم الإسرائيلى قائلاً : ( ها قد عدنا ) ناسباً بذلك غزوة إلى الغزوات الأوربية التى أقامت ممالكها فى تلك المنطقة قروناً قبل أن يستردها العرب ، ومستخدماً عبارة الجنرال ( غورو ) القائد الفرنسى حين احتل دمشق سنة ١٩٢٠ ووقف أمام قبر صلاح الدين الأيوبى وقال : ( ها قد عدنا يا صلاح الدين ][3] .

**ومن هنا :**

لم يكن من قبيل المصادفة أن يبدأ المبشرون الصليبيون بمصر قلعة الإسلام الصامدة ومركز ثقله ، وموطن الأزهر .

ولم يكن من المصادفة أن يكون قادة الغزو الصليبى الجديد لمصر من

---

(١) ( الخنجر المسموم ) لأنور الجندى ص (٢٩) .
(٢) ( الأمة عدد (٣١) السنة الثالثة .
(٣) ( يوميات ) لأحمد بهاء الدين الأهرام ( ١٢ / ٨ / ٨٢ ) ص (١٨) .

القساوسة المعروفين بكيدهم للإسلام والمسلمين أمثال ( دنلوب ) كاهن السياسة التعليمية الفاسدة التى زرعها فى مصر لقطع صلة الأجيال بالإسلام ، و ( كرومر ) الحاكم البريطانى الذى أذل المصريين لمدة ربع قرن من الزمان ، والذى حرص على صياغة جيل من المثقفين ثقافة أوربية يقبل التعاون مع الاستعمار ويخلفه فى حمل راية التفرنج بعد رحيل جيوشه حتى يضمن قهر الإسلام ويأمن بعث المسلمين من جديد بعد رحيله ، وكلا الرجلين (دنلوب) و (كرومر) قد تخرجا من أكبر المدارس اللاهوتية فى أوربا . ولم يكن من المستغرب أيضاً أن ينشط لدعوة الحرية عامة ، و ( تحرير المرأة ) خاصة النصارى ، والشاميون المقيمون فى مصر[1] ، فهؤلاء كانوا يعملون لنصرة أبناء دينهم أمثال كرومر وزويمر ودنلوب وغورو وأللنبى ، ( وتصورهم الدينى غارق فى التثليث والعشاء الربانى ، وصكوك الغفران .. لكن من المؤسف أن يسير فى هذا الخط المدمر أناس من أبناء المسلمين ، أضلهم الشيطان على علم ، وعميت أبصارهم عن الحقيقة ، فكانوا خداماً لأسيادهم وأولياء نعمتهم من الفرنج )[2] .

وكعناصر أى معركة : كانت ( القيادة ) صليبية ، و ( القاعدة ) أرض وطننا المسلم مصر ، و ( الأسلحة ) متنوعة مادية ونفسية ( والجنود ) عسكريين ومفكرين ومبشرين و ( الضحية ) بسطاء المسلمين ومستضعفيهم ( والعملاء ) الهواة منهم والمحترفون ، الحكام والقادة الفكريون يمارسون بأيديهم إبادة مقومات القوة فى أمتنا ليسهلوا على العدو الكبير المتربص التهامها .. وما أفظعها من مهمة يمارسها العملاء حين يدمرون أممهم ، ثم يدفعونها فى فم الغول الاستعمارى

---

(١) أمثال : مرقص فهمى ، وميخائيل عبد السيد ، وجرجى زيدان ، ولويس عوض ، وسلامة موسى ، وفرح أنطون ، وشبلى الشميل ، وقسطنطين رزق ، وميشيل عفلق ، وجورج حبش ، وأنطون سعادة ، وشاعر المجون والعربدة نزار قبانى وغيرهم انظر ( المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التحرر ) للدكتور عمر الأشقر ص(١٤)، و ( المرأة ومكانتها ) للحصين ص ٢٠٨ ، و ( الاتجاهات الوطنية ) ( ١ / ٢٠٣ ) وما بعدها .

(٢) ( المرأة ومكانتها فى الإسلام ) للحصين ص (٢١٩) بتصرف .

البشع .. ليلتهمها .. لقمة سائغة .

والآن .. وبعد أن انكشفت لنا الحقائق جلية عن نوايا أعدائنا بنا وخططهم لتدميرنا ، وعن حقيقة هؤلاء الذين قامت على أكتافهم دعوة ( تحرير المرأة ) وسنكشف فيما بعد إن شاء الله عن حقيقة هؤلاء اللاتى طفن بكعبة أوربا وحججن إلى حضارتها وشددن الرحال إلى مؤتمراتها و « مؤامراتها » ثم عدن نائبات عن ( أسيادهن ) فى مهمة ( تدمير المرأة المسلمة ) وبذلن كل فروض الطاعة والولاء الصريح لأعداء الإسلام ، وبخلن فى الوقت نفسه بإظهار أى صورة من صورة الولاء الحقيقى لله ولرسوله وللمؤمنين ، وجهر بعضهن بعد ذلك بالطعن فى الدين ، والتبرى من شريعة سيد المرسلين ﷺ أفلا يحق لنا بعد هذا كله أن نتساءل :

( ما هى العلاقة الودية الوثيقة التى تربط بين دعاة تحرير المرأة وبين القوى الاستعمارية والمعادية للإسلام وعلمائه ودعاته وأهله فى كل مكان من العالم حولنا ؟ إنه بالرغم من افتراض حسن النية أو الجهل عند من كان يظهر الإسلام من دعاة (تحرير المرأة) لكن هذا الافتراض لم يمنع بعض المحللين والباحثين حق الاجتهاد والبحث عن علاقة ما محتملة ، سرية أو علنية بين مخططات البهائية والصهيونية والماسونية ومسيرتها السرطانية الدؤوبة التى لا نشعر بها إلا بعد ظهور الأورام ، وتفشى الموت فى الدم واللحم والعظم — وبين قيادات ودعاة السفور على مساحة ديار المسلمين الواسعة ، و« من أوقع نفسه مواقع التهمة ، فلا يلومن من أساء الظن به » ) .

فلنستصحب هذه المعانى الآن ونحن نجول بين أعلام نسائية بارزة كان لها دور ما فى « معركة الحجاب والسفور » ولنتأمل جيداً أنهن « تلميذات الاستعمار » ما منهن واحدة إلا ورحلت إلى « هناك » لتلقن أصول الدعوة المدمرة ثم عادة إلى « هنا » لتتبوأ مراكز التوجيه .. متجردة من الولاء للإسلام والاعتزاز بأحكامه ، ومخلصة فى عبادتها لأوربا ، بل فخورة باستعباد أوربا لها ، رافضة بلسان حالها وسلوكها ولحن قولها أن تجعل الإسلام منظاراً على عينها ترى الأشياء من خلاله ،وتُحَكِّمه فيما هى عليه من عقيدة ومنهاج .

## خريجات البيوت العميلة

## فى موكب الرذيلة

ارتبطت الأحزاب النسائية فى الشرق على اختلاف أسمائها بعجلة الاستعمار منذ أول يوم من نشأتها ، وقامت بتزعم هذه الأحزاب نسوة لا نستطيع تفسير نشاطهن ضد الآداب والأحكام الإسلامية إلا بإلقاء بعض الضوء حسبما تسمح هذه العجالة على الخلفيات والبيئات التى نشأن فيها ، وبالتالى خرجت منهن زعيمات مقلدات للغرب بل ومنفذات لخططه فى تدمير الأسرة المسلمة ، وانخدع بهن كثير من المسلمات ، وانقدن وراء دعوتهن .

أعمى يقود بصيراً لا أبالكم     قد ضل من كانت العميان تهديه

### ١ - صفية زغلول :[١]

زوجة « الزعيم » سعد زغلول ، وابنة مصطفى فهمى رئيس الوزراء التركى الأصل الذى كانت سياسته تمثل الخضوع التام للاحتلال الإنكليزى ، وهو « أشهر صديق للإنكليز عرفته مصر فى تاريخ الاحتلال الإنكليزى من أوله إلى آخره »[٢] ، « ولم يكن من أنصار الاحتلال فحسب ، بل كان من المخلصين له ، العاملين على تحقيق مآربه ، مما دفع الخديو عباس إلى إقصائه عن رئاسة الوزارة سنة ١٨٩٣ م ، فحدثت أزمة مع كرومر ، انتهت بتأليف ( الوزارة الطويلة ) برئاسة مصطفى فهمى ثانية ، والتى حكمت مصر بالحديد والنار لمدة ثلاثة عشر عاماً خضوعاً للاحتلال الإنكليزى »[٣] . ( وقد حرصت أن تستأثر

---

(١) هى بنت ( مصطفى فهمى ) وقد تسمت باسم زوجها سعد زغلول تشبهاً بالإفرنج فى نسبة المرأة إلى زوجها ، ولقبت بـ ( أم المصريين ) من باب أسماء الأضداد ! .

(٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ( ٢ / ٣٨٦ ) .

(٣) ( مصطفى كامل ) للرافعى ص ٤١٦ .

بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالاً جديداً تنفرد فيه بالزعامة ، فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة )[1] .

وقد ذكرنا آنفاً دورها فى سن فتنة السفور إلى جانب أنها تزعمت مع « هدى شعراوى » أول مظاهرة نسائية سنة ١٩١٩ م .

**٢ - هدى شعراوى ( ت ١٩٤٧ م ) :**

( هى ابنة « محمد سلطان باشا »[2] الذى كان يرافق جيش الاحتلال الانكليزى فى زحفه على العاصمة ، والذى كان يدعو الأمة إلى استقباله وعدم مقاومته ، ويهيب بها علانية أن تقدم له كافة المعاونات والمساعدات ، وقد سجل التاريخ فوق هذه الصفحة السوداء صفحة أخرى أشد سواداً حينما تقدم هذا الخائن مع فريق من الكبراء بهدية من الأسلحة الفاخرة إلى قادة جيش الاحتلال شكراً لهم على إنقاذ البلاد .. وهكذا لم يكن عجباً أن يفرض الاحتلال على الخديوى أن يمنح أمثال هذا الخائن عشرة آلاف من الجنيهات الذهبية اعترافاً من بريطانيا له بالجميل .. ليس هذا فحسب بل لقد أنعمت عليه انجلترا بنيشان « سان ميشيل » و «سان جورج» الذى يلقب حامله بلقب «سير»[3]، وهى زوجة «على شعراوى» باشا ابن عمتها ورفيق سعد زغلول وعبد العزيز فهمى أصدقاء الإنكليز ، وأحد أعضاء « حزب الأمة » الذين أطلق عليهم « الإنكليز » اسم « الرجال المعتدلون » لأنهم حاربوا فى سبيل بريطانيا مصطفى كامل ، وناوأوه ، ووصفوه بالرجل العنيف ، وقد كان هذا الحزب المشبوه ينكر الجامعة الإسلامية ويحاربها ، داعياً إلى وطنية تقوم على المصلحة المتبادلة والمنفعة المادية ، لا على الإسلام ، وهو الحزب الذى عرف فيما بعد باسم ( حزب الوفد )[4] .

---

(١) ( رجال اختلف فيهم الرأى ) ص (٣٤)

(٢) انظر تفاصيل خيانته للثورة العرابية فى كتاب ( محمد سلطان أمام التاريخ ) للدكتور عبد العزيز رفاعى ، و ( الأستاذ الإمام محمد عبده ) لرشيد رضا (١ / ٢٥٨ - ٢٥٩) ، و ( رجال اختلف فيهم الرأى ) لأنور الجندى ( ٣١ - ٣٣ ) .

(٣) ( الحركات النسائية فى الشرق ) للأستاذ محمد فهمى عبد الوهاب ص ٢٣ - ٢٤ .

(٤) ( الاتجاهات الوطنية ) (٢ / ١٣٥) ، وانظر (٢ / ٣٨٨) .

وهى أيضا رفيقة « صفية زغلول » ابنة « مصطفى فهمى » ، تلقفتها جماعات التحرير المرأة فى روما وأمستردام ومرسيليا واستانبول وباريس وبرلين وبروكسل وبودابست وكوبنهاجن وجنيف وحيدر أباد ونيودلهى لتقود حركة « تحطيم المرأة المسلمة » فى مصر .

قالت (وداد السكاكينى) فى ترجمة « هدى شعراوى » : ( .. وقد توقد فيها الذكاء والإباء ، فتأبّت على هذه التقاليد التى كانت تضطر نظائرها من بنات الصعيد إلى التزام الحجاب[1] والبعد عن السياسة ، ولو كانت تدار من بيوتهن )[2] .

وقالت : ( لما عادت هدى شعراوى للمرة الأولى من الغرب ، كانت تفكر فى هذه التقاليد الموروثة ، التى لا تسمح لها بالظهور سافرة فى بلادها ، فثارت عليها ، وما كادت تطل على الإسكندرية حتى ألقت الحجاب جانباً ، ودخلت مصر مع صديقتها ( سيزانبراوى ) بدون نقاب[4] فلقيتا من جراء هذا السبق بالسفور لغطاً وتعنتاً من المتزمتين ، ولم يكن هذا الأمر من رائدة النهضة النسوية بدعاً أو خروجاً على الحشمة والوقار ، بل كان منها سلوكاً مثالياً فى السفور السليم « ؟!! » ، واستنكاراً للانحراف والتبرج « !! » اللذين ظهرت فيهما بعض السافرات المتطرفات )[5] ا هـ .

---

(١) ومن هذه الوجهة كانت تصف زوجها بأنه كان يسلبها كل حق فى الحياة ، وذكرت من أمثلة ذلك ما نصه : ( ولا أستطيع تدخين سيجارة لتهدئة أعصابى حتى لا يتسلل دخانها إلى حيث يجلس الرجال فيعرفوا أنه دخان سيجارة السيدة حرمه إلى هذا الحد كانت التقاليد تحكم بالسجن على المرأة وكنت لا أحتمل مثل هذا العذاب ولا أطيقه ) ا هـ من ( المرأة المصرية ) ص(١٣٩)

(٢) ( نساء شهيرات من الشرق والغرب ) ص (٥)

(٣) كانت فى هذه الرحلة تستقل نفس الباخرة التى يعود عليها سعد زغلول من فرنسا بعد استشفائه . ( المرأة المصرية ) ص (١٣٦)

(٤) وقد ذكرت ( صافى ناز كاظم ) أن ( هدى شعراوى وسيزا نبراوى ألقتا حجابهما ، وداستاه بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النساء الدولى الذى عقد بروما صيف ١٩٢٣ ) ا هـ من ( مسألة السفور والحجاب ) ص(٩)

(٥) ( نساء شهيرات من الشرق والغرب ) لوداد السكاكينى ص (٥ ، ٦)

(كانت « هدى » لا تزال تفكر فى النظرة التى تقابل بها المصرية كلما سافرت إلى أوربا ، إن القوم هناك يسخرون من ذلك الحجاب الذى يغطى وجوه المصريات حتى إنهم كانوا - إذ يرون هدى شعراوى وزميلاتها بلا يشامك ولا براقع - يتشككون فى مصريتهن ، وفى ذلك المؤتمر الأخير بالذات كانت مندوبات الدول المختلفة ينكرن على « هدى » مصريتها ، ولا يكدن يعترفن إلا بمصرية واحدة كانت تصر على حضور تلك المؤتمرات محجبة لا تكشف شيئاً من وجهها وهى السيدة نبوية موسى )[1] ا هـ .

( تقول « هدى شعراوى » فى حديث لها : « .. ورفعنا النقاب أنا وسكرتيرتى « سيزا نبراوى » وقرأنا الفاتحة ، ثم خطونا على سلم الباخرة مكشوفتى الوجه وتلفتنا لنرى تأثير الوجه الذى يبدو سافراً لأول مرة بين الجموع ، فلم نجد له تأثيراً أبداً ، لأن كل الناس كانوا متوجهين نحو « سعد » ، متشوقين إلى طلعته » )[2] ا هـ .

وقد دفعت بعد ذلك مباشرة ثمن جرأتها ورأت تأثير الوجه السافر حينما واجهتها هى وزميلاتها كثير من التعليقات الساخرة كلما سرن فى الطريق ، وعرضن أنفسهن حتى للعبارات النابية ، والصفات المؤذية[3] .

وهذه « الزعيمة » هى التى قادت مع زوجة « الزعيم » سعد المظاهرة النسائية المشهورة سنة ١٩١٩ ، تقول فى مذكراتها :

( وبينما كنت أتأهب لمغادرة منزلى فى ذلك اليوم للاشتراك فى المظاهرة ، بادرنى زوجى بالسؤال : إلى أين تذهبين والرصاص يدوى ويتساقط فى أنحاء المدينة ؟

فأجبت : للقيام بالمظاهرة التى قررتها اللجنة !!

فأراد أن يمنعنى فقلت له : هل الوطنية مقصورة عليكم معشر الرجال

---

(١) ( المرأة المصرية ) لدرية شفيق ص (١٣٦)

(٢) المصدر السابق ص (١٣٧) .

(٣) انظر المصدر السابق ص (١٣٨)

فقط ، وليس للنساء نصيب فيها ؟

فأجابني : هل يرضيك إذا تحرش بكن الإنجليز أن يفزع بعض النساء ويولولن « يا أمي ... يا لهوتي!! »

فقلت له : إن النساء لسن أقل منكم شجاعة ولا غيرة قومية أيها الرجال ، وتركته وانصرفت ، لألحق بالسيدات اللاتى كن فى انتظارى ... )[1] .

**فى ذمة الفضلى هدى جيـــل إلى هادٍ فقير**

**أقبلـــن يسألـــن الحضا رة ما يفيـد ومـــا يضير**

**ما السبـــل بينـــة ولا كل الهداة بها بصير**[2]

وتقول وداد السكاكينى :

( وكانت هدى اليد اليمنى لصفية زغلول ، والمفكرة المتحررة لنسوة الطليعة الواعية بمصر والبلاد العربية ، وقد استجابت لدعوة المؤتمرات النسوية فى الشرق والغرب ، فلما عقد أول مؤتمر دولى للمرأة فى رومة عام ١٩٢٣ حضرته هدى شعراوى مع « نبوية موسى » و « سيزا نبراوى » صديقتها وأمينة سرها .. وقد توالت بعدئذ رحلات هدى شعراوى للشرق والغرب ممثلة نساء بلادها رافعة علمها بين أعلام الدول الوافدات على المؤتمر )[3] ا هـ .

ولما عادت هدى من مؤتمر الاتحاد النسائى الدولى المذكور كونت الاتحاد النسائى المصرى سنة ١٩٢٣ ، ووضعت الحجر الأساسى له فى أبريل ١٩٤٢ م ، وبطبيعة الحال عمل ذلك الاتحاد بقيادتها لتحقيق الأهداف التى حرص الاستعمار على الوصول إليها ، وردد نفس المبادىء التى نادى بها من قبل مرقص فهمى ونقلها عنه قاسم أمين ، وفى مقدمتها تعديل قوانين الطلاق ، ومنع تعدد الزوجات علاوة على المطالبة للمرأة بالحقوق الاجتماعية والسياسية المزعومة ، التى وصلت

---

(١) ( المرأة المصرية ) لدرية شفيق ص(١٣٩)، وانظر ( رجال اختلف فيهم الرأى ) لأنور الجندى ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الشوقيات ( ٢ / ١٦٨ ) .

(٣) نساء شهيرات ص (٥) .

أخيراً[1] إلى حد المطالبة بالمساواة في الميراث )[2] .

## وقفة مع الاتحاد النسائى :

وقد اهتمت الدوائر الأجنبية بأمر ذلك الاتحاد النسائى عند قيامه حتى أن الدكتورة ( ريد ) رئيسة الاتحاد النسائى الدولى حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية ، ولتناصر الحركة بنفوذها فى المحيط الأوزبى، وبتصريحاتها التى ترمى إلى المساعدة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية المزعومة .

وبعد عشرين عاماً من تكوين هذا الاتحاد استطاع بالنفوذ الأجنبى وأذناب الاستعمار أن يمهد لعقد ما سمى بالمؤتمر النسائى العربى سنة ١٩٤٤ ، وقد حضرت مندوبات عن الأقطار العربية المختلفة[3] ، واتخذت فيه القرارات « المعتادة » ، وفى مقدمتها بالطبع تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ، والمساواة التامة مع الرجال فى كل الحقوق والواجبات ، ليس ذلك فحسب ، بل قرر المؤتمر « الموقر » المطالبة بحذف نون النسوة من قاموس اللغة العربية )[4] .

---

(١) [ ومن الجدير بالذكر أن سلامة موسى النصرانى كان قد خطب فى جمعية ( الشبان المسيحية ) وتحدث فى أمر لا يخصه ؛ وهو التعرض للمرأة المسلمة وحجابها وسفورها ، وما عيَّنه لها القرآن من نصيب فى الميراث ، وبعد هذه المحاضرة حاول – زيادة منه فى الكفر – أن يحرض هدى شعراوى على مطالبة الحكومة المصرية بسَنِّ قانون يساوى بين الرجل والمرأة فى الميراث ، وذلك ضمن رسالة شخصية بعث بها إليها ، لكنها أنكرت عليه ذلك وردت عليه فى مقال بجريدة الأهرام ] انظر ( المرأة بين الفقه والقانون ) للسباعى رحمه الله ص ( ٢١٩ – ٢٢٠ ) .

(٢) ( الحركات النسائية فى الشرق ) ص ٢٤ .

(٣) ولقد احتج علماء سوريا رسمياً على حكومتهم على تمثيل بعض النساء السوريات فى ذلك المؤتمر ، كما أصدر الملك عبد الله ملك شرق الأردن حينذاك منشوراً إلى رئيس وزرائه ، يلفت فيه نظره إلى حركة التمرد على الآداب والتقاليد الإسلامية ، ووجوب التزام المرأة بالحجاب الذى كرمها الله به . ( المصدر السابق ص ٢٥ ) .

(٤) المصدر السابق ص ٢٥ .

### ٣ – سيزا نبراوى :

تقول فى مذكراتها : ( وعندما عدت من الخارج حيث عشت حتى بلغت الثامنة عشرة من عمرى ، كنت متحررة متحمسة ، ولهذا رفضت لبس البرقع ، وأصررت على لبس القبعة ، وبحكم الصداقة التى كانت بين والدتى وبين هدى شعراوى ، أخذت تهدىء من ثورتى ، وتقنعنى بأن الظروف غير مواتية للحصول على حقوق المرأة مرة واحدة ، وأن المطالبة بها فى هدوء يجنبنا ثورة الرجال الذين كانوا كل شىء فى ذلك الوقت )[١]، (ولما تقدم « الفنان » مصطفى نجيب للزواج منها قالت : إنها لا تستطيع أن ترتبط بحياة يكون من حق أحد طرفيها فقط أن يتخلى عن التزامه فيها بالطلاق فى أى وقت يشاء ، فتزوجها على أن تكون العصمة فى يدها ، ولم يدم الزواج أكثر من أربع سنوات )[٢] .

### ٤ – درية شفيق[٣] : المرأة الغامضة

تلميذة وفية من تلميذات ( لطفى السيد ) ، **رحلت وحدها – بمجرد تخرجها – إلى فرنسا** لتحصل على الدكتوراة ، ثم تعود لتشكل حزب ( بنت النيل ) ،**ثم ترحل إلى إنكلترا** حيث تقابل بحفاوة بالغة قيل إنه لم ينل مثلها كثير من رؤساء الدول وزعمائها ، ورحبت بها الصحف البريطانية بدون استثناء ، ونشرت عنها الأحاديث العديدة التى تصورها بصورة الداعية الكبرى إلى تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده .. أغلال الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ، ومن هذه الأحاديث ما كتبه مراسل جريدة الـ ( سكتشمان ) يقول : ( إن الأهداف المباشرة لحزب بنت النيل هى كما أوضحتها الدكتورة «درية شفيق» : منح المرأة حق الاقتراع وحق دخول البرلمان ، والمطمع الثانى الذى تهدف

---

(١) ( مجلة حواء ) عدد ٢١ / ١٢ / ١٩٥٧ م .

(٢) الأخوات المسلمات ص ( ٢٥٨ – ٢٥٩ ) .

(٣) ( الحركات النسائية فى الشرق ) ص (٢٩) وما بعدها .

الدكتورة لتحقيقه هو إلغاء تعدد الزوجات وإدخال قوانين الطلاق الأوربية فى مصر ) اهـ .

ولما عادت إلى مصر عظم نشاطها ، وتوفرت لها أسباب الحماية والحرية ، وتهيأت لها عوامل النشر والإذاعة ، حتى لقد حيل بين أهل الرأى ودعاة الدين وحماته وبين الرد عليها .

وبلغ التوتر مبلغه ، ونهض علماء الدين ودعاة الفضيلة والأخلاق على قلب رجل واحد يجابهون الاستعمار فى شخص هذه السيدة أمام أعظم حصن من حصون الإسلام وهو الأسرة المسلمة ، ووقف الاستعمار بأمواله ونفوذه .. .

وانكشف بعض المستور حين قدمت إحدى عضوات مجلس إدارة الحزب استقالة مسببة ، ما لبثت أن قبلتها الرئيسة دون عرضها على مجلس الإدارة ، وكم كانت الدهشة كبيرة ، حين علم أنه قد حيل بين كثير من الصحف وبين نشر سبب الاستقالة حتى فوجىء الشعب بأن السبب هو أن السفارة الإنكليزية والسفارة الأمريكية تمدان الحزب بألفين من الجنيهات سنوياً ، عدا الورق المصقول وغيره ، فضلاً عن تقديم المشورة والتوجيه .

وهذه السيدة هى التى قادت مظاهرة الجامعة الأمريكية فى أبريل سنة ١٩٥١ م بتحريض من وزيرة الشئون الاجتماعية البريطانية « سمر سكل » حين اجتمعت بها فى مصر[١] ، وقادت الإضراب عن الطعام والاعتصام بنقابة الصحافيين فى ١٢ مارس ١٩٥٤ – مطالبة بحقوق المرأة المزعومة . .

وفى أبريل سنة ١٩٥١ م عقد مؤتمر نسائى دولى فى أثينا ، حضرته هذه السيدة ممثلة المرأة المصرية زوراً وبهتاناً ، وقد كان المؤتمر مؤامرة استعمارية بعيدة المدى كما يبدو من أحد قراراته التى أيدتها « درية شفيق » فيما يتعلق بإقرار « سياسة التسليح الدفاعى » مما كان من شأنه تأييد الاحتلال البريطانى لمصر ، ولذلك صفقت المندوبة البريطانية تصفيقاً حاراً لذلك القرار .

---

(١) انظر تفاصيل تلك « المهزلة » فى كتابها ( المرأة المصرية ) ص (٢٠١ – ٢٠٨ ) .

وكانت تلك السيدة تصرخ مطالبة بحق المرأة فى الانتخاب والترشيح ، وبضرورة إيجاد نص فى القانون يجعل النساء سواسية مع الرجال إزاء هذا الحق المزعوم ، فقامت ضدها قومة علماء الدين « وعلى رأسهم فضيلة مفتى الديار المصرية آنذاك الشيخ / محمد حسنين مخلوف حفظه الله » ، ودعاة الفضيلة والأخلاق بحملتهم الناجحة التى أحبطت كيد الاستعمار وأذنابه ، وأسندت ظهر الحكومة أمام الخطر ، وإذا « بالزعيمة » تتصل بإنكلترا مستغيثة ، فلجأت على الفور إلى مندوب الإذاعة البريطانية فى مصر « باتريك سميث » ليرفع إلى بلاده شكوى عميلتها من الحكومة المصرية ! .

ولذلك لم يعجب هؤلاء الذين استمعوا إلى المذيع البريطانى المذكور حينما تكلم إلى بلاده حينذاك قائلاً ما ملخصه : « جاءتنى الدكتورة درية شفيق زعيمة حزب بنت النيل ، وقد شكت إلىَّ من أن الجهات المسئولة فى مصر تعارض بشدة مطالبتها بحقوق المرأة السياسية ، وكفاحها من أجل تمثيل المرأة داخل البرلمان المصرى ، وطلبت منى أن أناشد الصحف البريطانية كى تؤازرها بكل ما تستطيعه ، وأن تضغط على الدوائر المصرية حتى تكف عن معارضتها القائمة » ، ثم أوصى « حضرته » فى رسالته « بضرورة مؤازرة هذه الزعيمة فى دعوتها إلى تحرير المرأة المصرية ، عملاً بميثاق هيئة الأمم المتحدة الذى تحتكم إليه الزعيمة ، والذى ينص على تطبيق مبدأ المساواة فى الحقوق السياسية والاجتماعية بين الرجال والنساء فى الدول الأعضاء والتى من بينها مصر » ا هـ وفى عهد وزارة « على ماهر » إذا به يسمح لها بالسفر إلى لندن لحضور المؤتمر النسائى الدولى هناك ، ثم تنتقل بعد ذلك على الفور بصحبة مندوبة إنكلترا لحضور المؤتمر النسائى فى نابلى ، وقد استقبلتها الصحف الإنكليزية جميعها على عادتها استقبالاً حاراً ، علقت عليه بعض الصحف المصرية – فى دهشة – بأنه استقبال لم يحدث له مثيل .

ثم اتجهت الزعيمة إلى « روما » بصحبة مندوبة إنكلترا ومندوبة إسرائيل « تبهيلا مانمون » ، وأثناء انعقاد المؤتمر اتصلت بوفد إسرائيل ورئيسته المذكورة ، طوال الأيام التى مكثتها هناك ، ونشرت الصحف الأوربية ، وبعض المجلات

النسوية المصرية الصور الكثيرة التي بدت فيها الدكتورة درية شفيق فى أحاديث هامة وأوضاع شتى مع هذه الإسرائيلية الخطيرة .. وأعلنت المندوبة الإسرائيلية المذكورة ارتياحها بالمندوبة المصرية بلندن ومصاحبتها لها إلى نابلى حيث قالت فيما نشرته الصحف الإيطالية والفرنسية : ( إننى أهنىء نفسى بهذا الاتصال الذى ربط بينى وبين السيدة « درية شفيق » ، وإننى أعلن لعضوات المؤتمر السادس عشر فى نابلى أنى عقدت آمالى على الزعيمة المصرية لحل جميع المشكلات بين البلدين : إسرائيل ومصر ) .

وقد نشرت مجلة نسوية مصرية الصور المختلفة لدرية شفيق مع رئيسة وفد إسرائيل نقلاً عن الصحف الإيطالية ، كما نشرت صورة زنكوغرافية لمقال نشرته بعض الصحف الإسرائيلية الصادرة فى تل أبيب باللغة العبرية ، وكانت صورة درية شفيق وهى تحادث مندوبة إسرائيل تزين المقال المذكور ، وقد جاء فى هذا المقال بعد ترجمته :
« إن تل أبيب تتوقع أن الحوادث المقبلة ستزيد مكانة درية شفيق شأناً ورفعة »
اهـ (١) .

**٥ - سهير القلماوى :**

**تربت فى الجامعة الأمريكية للبنات ، وتخرجت من معهد الأمريكان ،** ودخلت قسم اللغة العربية بكلية الآداب بمعونة لطفى السيد ، وطه حسين ، وصارت تلميذة وفية لأستاذها الأول ( طه حسين ) ثم ( أحمد أمين ) و ( عبد الوهاب عزام ) ، و « نللينو » و « إينوليتمان » ، **وتنقلت فى الجامعات الأمريكية والأوربية** ، ثم عادت لتدرس فى الجامعة المصرية (٢) .

---

(١) نقلاً عن ( الحركات النسائية فى الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ) تأليف محمد فهمى عبد الوهاب ص (٢٨ - ٥٠) باختصار .
(٢) ( نساء شهيرات ) ص (٣٩ - ٤٦) .

٦ - **أمينة السعيد :**

تلميذة وفية لطه حسين ، ترأس تحرير مجلة حواء ، ( ومن خلالها تحرض نساءنا على النشوز ، وفتياتنا على التهتك والانحلال )[١] ، وقد تواتر لدى الجميع أنها تهاجم الحجاب الإسلامى بكل جرأة ، وهى - وإن كانت تلقفت الراية من « الزعيمات » السابقات إلا أنها تفوقت على كل اللائى سبقنها في باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية ، إذ إنها لا تألو جهداً فى الصد عن سبيل الله ، والاستهزاء من شرعه عز وجل ، حتى وصل بها الأمر إلى أن قالت : ( كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا فى عصر الظلام ولدينا الميثاق ؟ ) ، وقالت : ( إننى لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل فى الميراث )[٢] .

وهى المرأة التى أزعجتها ظاهرة ( عودة الحجاب ) إلى المجتمع المصرى ، فجردت قلمها المسموم لتواجه هذه الظاهرة ( المقلقة ) ووصفت الحجاب بأنه ( كفن ككفن الموتى )[٣] ، ولنعرض فيما يلى - إن شاء الله - أنموذجاً من جولاتها ضد الحجاب والآداب الإسلامية فى ردها على بعض الشيوخ مستنكرة عليه آراءه التى ( أثارت القلق والأسف ) على حد تعبيرها ، ولن نتتبع شبهاتها بالرد والتعقيب لأن فسادها يغنى عن إفسادها ، وصدق القائل :

**لو كل كلب عوى ألقمته حَجَراً     لأصبح الصخر مثقالاً بدينار**

وهى تذكر أن أكثر ما أثار القلق فى أقوال الشيخ الفاضل نقطتان : أولاهما : الدعوة إلى إلزام الطالبات بما يسمونه « الزى الإسلامى » ، وهو ما تفضل سيادته بتسميته الحجاب بحجة أنه دليل إسلامى رائع على الإيمان العميق والبعد عن الفتنة والإغراء .. إلخ ، ثم ترتدى هذه المرأة ( الثعلب ) ثياب ( الناسكين ) ، وتعظ الشيخ قائلة : ( ما كان ينبغى على شيخ المفروض فيه - بحكم ثقافته ومكانته - أن يكون ضليعاً فى الإسلام ، أن يصدر عنه مثل هذا

---

(١) ( الأخوات المسلمات ) (٢٦٤) .

(٢) الأخوات المسلمات ص ( ٢٦٨ - ٢٦٩ ) نقلا عن ( المصور ) .

(٣) ونص عبارتها آنذاك : ( عجبت لفتيات مثقفات كيف يلبسن أكفان الموتى ، وهن على قيد الحياة؟ ) اهـ نقلاً من « اللواء والبراء فى الإسلام » لمحمد بن سعيد بن سالم ص (٤٠٤) .

الكلام ، ونحن نعرف جميعاً استناداً إلى ما ورد بالقرآن الكريم – وهو دستورنا الدينى الأول – أن الإسلام لم يحدد على الإطلاق زياً معيناً للمرأة المسلمة ، ولم يقدم رسماً كامل الأوصاف لا من حيث الشكل أو النوع أو اللون ) ، ثم تزعم أن ( المعنى الواضح من هذا الكلام المقدس أن الدين الحنيف لا يستهدف من ملابس المرأة سوى الوقار والاحتشام والبعد عن التبرج والابتذال ، فكان أى ثوب تتوافر فيه هذه الاشتراطات هو زى إسلامى بمعنى الكلمة سواء كان مقتبساً من الغرب أو الشرق أو الشمال أو الجنوب ، أمّا ما نراه اليوم شائعاً بين الفتيات والسيدات مما يسمونه ( الزى الإسلامى ) فالإسلام منه براء لأنه تقليد حرفىٌّ لزى الراهبات المسيحيات ، والذى نعلمه جميعاً أن لا كهانة ، ولا رهبانية فى الإسلام ) ثم تستطرد تحت عنوان : ( أزياء دخيلة )(١) فتقول : ( والأدهى من ذلك : « المقنعات » وهن قلة من المتطرفات فى إعلانٍ عن تدينهن ، فقد ذهبن فى ثيابهن إلى تحريم ما أحله الله ، فغطين وجوههن بأنسجة كثيفة ليس بها سوى خرمين صغيرين للاستعانة بهما فى النظر ، ولم يكتفين بذلك ، بل ذهبن فى مبالغتهن إلى تغطية الخرمين الصغيرين بنظارات سوداء خوفاً من أن تتغلغل الأنظار من خلال الخرمين إلى حدقتى العينين ، وهو كل ما يحتمل أن يظهر من هذا القناع العجيب الدخيل .

هذا بالطبع غير جائز فى الإسلام ، بدليل الفتوى التى أصدرها سيد الأئمة كلهم الإمام الأكبر الشيخ محمد عبده ، وقد أورد فيها أن « المقنعات » لا ينبغى أن ترفع لهن قضية ، أو تسمع لهن شهادة فى المحاكم ... ولو كنا نساير روح الإسلام الأصيل ما سمحنا لهن بدخول الامتحانات العامة لسهولة تزييف الشخصية تحت هذا القناع العجيب ) .

وتشتد « غيرة » أمينة السعيد على الإسلام ، و « يتدفق » حرصها على « مخالفة الكفار »

---

(١) تعنى تلك الأزياء الدخيلة الجلباب والنقاب وهى تعلم تماماً أن ما عدا هذه الأزياء هو الدخيل الطارىء وأن هذا الحجاب كان سائداً فى كل المجتمع المصرى قبل ظهور دعاة تحرير المرأة ، ولكنها تستغل جهل الجيل الحاضر بالماضى القريب الذى عاصرته هى وأمثالها .وتتحدث عن الحجاب كأنه من اختراع « المتطرفات الجدد » على حد تعبيرها .

فتقول : ( وما يقال عن الحجاب يسرى أيضاً على ملابس الرجال ، فمع عظيم إجلالى للعمامة والجبة والقفطان أعرف أنها ليست زياً إسلامياً أصيلاً ، وإنما هى اقتباس من ملابس الأحبار اليهود فى قديم الزمن ) .

ثم تقول تحت عنوان : ( إساءة للمسلمين والإسلام ) : ( وتكرار التعلل فى مثل هذه الدعوات بالأنظار الجائعة والنفوس الجانحة يُصَوِّرُ الرجل المسلم فى شكل حيوان الغابة الطليق فى غرائزه ، ومساوئه ونهمه ، وأنا أنكر أن الرجل المسلم حيوان بشرى بهذه الصورة ، والدليل على أن الرجل المسلم مازال بخير – والحمد لله – أن المرأة المحتشمة[1] التى تظهر فى المجامع العامة بالثوب الإفرنجى لا يتعرض لها أحد ، ولا تأكلها العيون النهمة ولا النفوس الجانحة ، وهى تعامل دائماً بغاية التجلة والاحترام ) ثم تقول « صاحبة الفضيلة » : ( واستمرار التعلل فى مثل هذه الدعاوى بالغرائز والنهم يضر إضراراً بليغا بسمعة الإسلام والمسلمين ، ويظهرهم للعالم الخارجى فى صورةٍ غاية فى الحطة والمهانة .. كما أنه يضر كذلك بسمعة الإسلام نفسه ، الأمر الذى دفع بكثير من مفكرى الغرب وكُتَّابِهِ إلى الاجتراء على ديننا ، والتطاول عليه إلى درجة أن نسبوا إليه دواعى التخلف الذريع الذى يعيش فيه – مع الأسف الشديد – الشعب الإسلامى أينما وُجِد ، حتى فى البلاد التى يعبد أهلها الأوثان والأبقار والقردة ، فهل الإسلام حقيقة كذلك ؟ وهل هو المسئول عن مأساة الشعب الإسلامى ؟! حاشا لله ، فالإسلام فى حقيقته هو دين الحضارة والتنور والتقدم ، ولكن المفاهيم الخاطئة التى دُسَّت فى أمخاخ أبناء شعبه ، هى التى هبطت بنا إلى هذا المستوى المؤسف ، وجعلتنا مضرب الأمثال فى الحيوانية والتخلف ) وتختم العجوز المتصابية مقالتها الطويلة مستنكرة على الشيخ تصريحاته قائلة : ( إنها عملية هدم للإسلام من

---

(١) تقصد بها المتزينة بالعفة فى باطنها فقط وإن تبرجت فى ظاهرها ، ففى مذهبها ( أن الثوب لا يصنع الفضائل ، وإنما الفضائل هى التى تصنع الثوب ، وأن الإيمان لا تصنعه الثياب ، ولكنه هو الذى يصنع الثياب ) ا هـ – ولو تأملت هذه العبارة المنمقة جيداً ، ووضعْتها موضعها لوجدت فيها ما ينقض خرافاتها ، ويهدم بنيانها من القواعد ، ويعيدها إلى الحنيفية السمحة تائبة مستغفرة لا منافقة مستغفلة .

أساسه ، فاللهم ارحمنا، وارحم ديننا من شر أنفسنا إنه السميع المجيب )[1] اهـ ، وصدقت، فإن ما تفعله حقاً هو عملية هدم للإسلام من أساسه ، وهى أولى بهذه الكلمة من غيرها ، وصدق الله العظيم : ﴿ **ولتعرفنهم فى لحن القول** ﴾[2] الآية .

شعر :

| | |
|---|---|
| **لا بوركت تلك الأكف فإنها** | **ضربت على الألباب سدًّا عاتيا** |
| **حجبت صديع[3] الرشد عنها فارتمت** | **تجتاب ليل الغى أسفع داجيا** |
| **بعثوا الصحائف يلتوين كأنما** | **بعثوا بهن عقارباً وأفاعيا** |
| **صحف يزل الصدق عن صفحاتها** | **ويظل جد القول عنها نائيا** |
| **ليت الزلازل والصواعق فى يدى** | **فأصبها للغافلين قوافيا** |
| **فنيت براكين القريض ولا أرى** | **ما شفنى من جهل قومى فانيا** |
| **فلئن صمتُّ لأصمتن تجلدا** | **ولئن نطقت لأنطقن تشاكيا**[4] |

**لعبة العرائس المتحركة :**

وفى موكب الرذيلة صحافيات أخريات ، ومذيعات ومعلمات ، طبيبات وسياسيات ، قد تلونت تصوراتهن بألوان شتى ، وتفرقت مللهن أيما تفرق وبرغم انتساب بعضهن إلى الإسلام ، فقدجَمَعَهُنَّ هدف واحد هو طعن الإسلام فى الصميم ، وهؤلاء جميعاً وضعن أنفسهن بهذا المسلك الوخيم فى صف المواجهة مع الإسلام يرمينه عن قوس واحدة ، شئن أم أبين ، رضين أم كرهن ، وتحصَّنَّ فى هذه الحرب فى خندق واحد ضم إليهن اليهود والنصارى والملاحدة والمنافقين والفاسقين ، وكأنى بهن يشرن إلى أوليائهن ورفاقهن قائلين : ﴿ **هؤلاء أهدى من**

---

(١) من مقالة بعنوان ( هذه دعاوى غير إسلامية ) مجلة حواء .

(٢) جزء من آية رقم (٣٠) سورة محمد ﷺ .

(٣) الصديع : الصبح .

(٤) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ( ١ / ٢٢٠ ) .

الذين آمنوا سبيلاً ﴾ فما أجدر هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم ، وساءت مصيراً** ﴾[1] .

وغير هؤلاء صفوف وصفوف ، ممن رباهن الاستعمار الصليبي والصهيونى فى محاضنه ، وأخريات ممن هن فى دور الإعداد والتربية ، ليخلفنهن فى مهمة « تدمير المرأة » كلٌ بأسلوبه ، وبقدر طاقته ، ﴿ **ولكل وجهة هو موليها** ﴾ ، لكن يجمعهن محور واحد يؤكد أن هذه الشخوص التى تبدو للناظر كأنها تتحرك بإرادتها ، لا تتحرك إلا حسب خطة واحدة ، قدَّرها ، ورسم خطوطها الذين فضلوا أن يجذبوا الخيوط من خلف ستار ، كفانا الله والمسلمين شرورهم .

**من يحرر من ؟**

إن المرأة المسلمة الواعية البصيرة بحقوقها وواجباتها فى ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هى المرأة الجديرة بصفة الحرية ، أما المرأة غير المسلمة أو المنحرفة فى فهمها للإسلام فهى الأسيرة التى تحتاج إلى تحرير سواء كان هذاالتحرير من رق الشرك والوثنية وعبادة غير الله ، أو رق الرذيلة والتهتك ، أو رق العادات والأعراف والتقاليد المنافية لدين الإسلام .

﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** ﴾ .

**« لا » للقومية النسائية :**

( كان دأب دعاة تحرير المرأة منذ البداية لجعل القضية : قضية « تحرير المرأة » فقط مع إسقاط التعيين « المسلمة » ، ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة فى العالم ، كأنما صارت هناك قومية خاصة اسمها « القومية النسائية » تربط المرأة

---

(١) سورة النساء آية (١١٥) .

المسلمة بالمرأة المسيحية بالمرأة اليهودية بالمرأة عابدة البقر والأوثان ، بالمشركة ، بالملحدة[1] ... إلخ .

كأن قضيتهن واحدة ، ومطالبهن واحدة ، وأهدافهن واحدة ، ومعتقداتهن واحدة ، وكان السعي فعلاً حثيثاً لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية ، وكلما تطابقت صورتها مع الغربية كلما زاد الإعجاب بها ، وتقريظها بأنها لا تفترق عن الأجنبية ! حتى سقطت المرأة المسلمة فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر التي ظلت معتزة بزيها الخاص « الساري » ، وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينيها )[2] .

---

(١) بل الأدهى من ذلك أن تتجاوز هذه ( القومية النسائية ) حدود الزمان لتجعل المسلمة الموحِّدة أختا لنساء قدماء المصريين الوثنيات ، انظر ما كتبته ( إحداهن ) مفتخرة بالفراعنة : ( كان الفراعنة هم أول من رفع المرأة إلى مقاعد الحكم ، وارتضى رجالهم فى فخر واعتزاز أن تحكمهم ملكات كانت عهودهن رمز العدالة والتقدم والاستقرار .. ولقد وصلت المرأة الفرعونية إلى هذه المكانة العالية فى قومها بغير معارك وبدون اعتراض .. وما كان ذلك إلا لأن المجتمع الفرعونى كان هو المجتمع المتحضر الذى رسم للبشرية بأجمعها طريق الحضارة والعلم والحكمة ) ا هـ من ( المرأة المصرية ) لدرية شفيق ص(٧)ثم تفتخر ببعض مظاهر حرية المرأة عند الفراعنة مثل : ( حق اقتسام الميراث فى مساواة مع رجل أسرتها ، وكانت تملك حق تطليق زوجها بعد أن تدفع له تعويضاً ، وكانت تسمى أولادها باسمها )ا هـ ص(١٥)، وتنقل بإعجاب عن ( هيرودوت ) قوله : ( إن المرأة فى مصر القديمة أكثر نشاطاً من رجلها ، فالنساء يذهبن إلى السوق يبعن ويشترين فى حين أن الرجال يلازمون بيوتهم حيث يقومون بنسج الأقمشة ) ا هـ ص(١٦)، ثم تفتخر زعيمة حزب ( بنت النيل ) بنفرتيتى زوجة أخناتون [ التى حملت لواء حركة الانقلاب الدينى .. وهى الحركة التى قامت فى عهد حكم زوجها ، واشتركت نفرتيتى معه فى صنع أسس الدين الجديد الذى توحدت فيه لأول مرة فى تاريخ الأديان (!!) جميع الآلهة فى إله واحد هو ( أتون ) أى الشمس ] ا هـ ص(١٦)وليت شعرى ما الذى يدعو إلى هذا الفخار وقد انتقلت نفرتيتى وقومها من شرك إلى شرك ؟ وأى شىء يدعو للإعجاب والاعتزاز بفراعنة وحَّدوا آلهتم المتعددة فى ( كومبانية ) آلهة مشتركة هى ( الشمس ) تعالى الله عما يشركون ! ، وهل خفى على هذه ( المتحررة ) أن عقيدة توحيد الله سبحانه وتعالى أول من نزل بها إلى الأرض من البشر آدم وحواء .. وأنهما كانا على دين الإسلام الذى أرسل الله به جميع رسله وأنزل به جميع كتبه ؟ وأن التوحيد ليس اختراعاً فرعونياً ؟ وهل تتجاهل الكاتبة حقيقة تلك الوثنية الفرعونية البغيضة التى لا يصح إسلام أحد حتى يتبرأ منها ومن أصحابها ؟ قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ الآية (٤) ( الممتحنة : ٤ ) .

(٢) ( فى مسألة الحجاب والسفور ) لصافى ناز محمد كاظم ص ٢٦ .

وقد قامت الدوائر الاستعمارية خاصة فى أمريكا وانكلترا بتغذية هذه « القومية النسائية » فى البلاد الإسلامية خاصة مصر ، فحينما استطاع « الاتحاد النسائى المصرى » أن يعقد ما سمى بـ « المؤتمر النسائى العربى » سنة ١٩٤٤ وسط استنكار الشعوب العربية والمسئولين فيها ووسط احتجاج العلماء وثورة الإسلاميين ، إذا بزوجة الرئيس الأمريكى « روزفلت »[١] تبرق إلى المؤتمر المذكور فى ١٧ ديسمبر ١٩٤٤ البرقية الآتية : ( يسرنى أن تتاح لى فرصة إرسال تحيتى إلى مندوبات الاتحادات النسائية فى مختلف بلاد الشرق العربى ، والواقع أن نفوذ السيدات ليتعاظم ويزداد قوة فى مختلف أرجاء العالم ، وإنى لواثقة من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب « شقيقاتهن » فى باقى بلدان العالم أملاً فى نشر التفاهم والسلم العالمى فى المستقبل )[٢].

ومن قبلها حضرت إلى مصر « الدكتورة ريد » رئيسة الاتحاد النسائى الدولى بنفسها لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية ، ولتناصر الحركة بنفوذها فى المحيط الأوربى ، وبتصريحاتها التى ترمى إلى « المسارعة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية » المزعومة .

( ومن هنا أيضاً لم يدهش الشعب المصرى لزيارة وزيرة الشئون الاجتماعية البريطانية « مسز سمر سكيل » لتتفقد الأحزاب النسائية فى مصر ، وتجتمع بـ « درية شفيق » رئيسة حزب « بنت النيل » المشبوه وتحرضها على أن تترك المقالات والمناقشات والمجادلات وتتجه إلى المظاهرات واقتحام أبواب البرلمان[٣] .

وتمتثل رئيسة « حزب النيل » لتلك التوجيهات ، ففى أبريل سنة ١٩٥٢ خرجت مظاهرة من قاعة « إيوارت » بالجامعة الأمريكية — ذات التاريخ الطويل فى التبشير — قوامها بضع عشرات من الفتيات الكاسيات .... ، تتقدمهن زعيمة

---

(١) ( ولسنا فى حاجة إلى أن نذكر الدور الخطير الذى لعبته « مسز روزفلت » فى تكوين الوطن القومى لليهود فى فلسطين ) من ( الحركات النسائية ) لمحمد فهمى عبد الوهاب ص (٢٨) .

(٢) ( الحركات النسائية فى الشرق ) ص (٢٧) .

(٣) وكان الهدف من ذلك كله إشغال الرأى العام بقضية المرأة عن التفرغ لقضية ( الوطن الأسير ) الذى كانت تحتله آنذاك الدولة التى تمثلها ( مسز سمرسكيل ) الغيورة على ( حقوق المرأة المصرية ) ! .

الحزب المذكور ، وبعض الشبان من أصدقاء حزبها وأنصاره إلى دار البرلمان ، هاتفات بالحقوق السياسية المزعومة ! .

وفوراً ، أبرقت جمعية « سان جيمس » الإنكليزية إلى الزعيمة المذكورة بتهنئتها على نجاحها فى اتجاهها الجديد نحو المظاهرات ، وتعلن تأييدها لها حتى تنال المرأة المصرية على يديها الحقوق السياسية ، تحت قبة البرلمان ، وفوق كرسى الوزارة )[1] اهـ .

## فهل أدركت يا أخت الإسلام :

حقيقة « الحركات النسائية » .. وهدف « القومية النسائية العالمية » ؟ .

( إن الكلام عن « العالمية » فى هذا المجال ضار جداً ، وهادم لأسباب النهضة عند الأمم الضعيفة بنوع خاص ، لأنها إذا أرادت أن تنهض فلن تقوم لها نهضة إلا على مغارسها وأصولها الأولى ، والنهضة على غير هذا الأساس فناء لذات العنصر الأضعف فى العنصر الأقوى )[2] .

## حصاد المؤامرة :

فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه نعرة توحيد « القومية النسائية » كان دأب « دعاة تحرير المرأة » رجالاً ونساءً الأهم هو فصل قضية تحرير « المرأة » المسلمة عن قضية تحرير « الوطن » المسلم ، وفصل قضية الظلم الواقع عليها عن قضية الظلم الواقع على الرجل المسلم : تجزئة للقضية الواحدة من أجل أن تتفتت فى مسارات متباينة متعارضة بل ومتصارعة ، إذ لم يقف الأمر عند هذه التجزئة بل تعداه إلى أن جُعلت المرأة المسلمة تقف خصماً أمام الرجل المسلم وأمام الوطن المسلم ، تقف خصماً ضد شريعتها ، تمتلىء رعباً وهلعاً كلما قيل لها : هناكَ من يطالب

---

(١) ( الحركات النسائية فى الشرق ) ص ( ٣٧ - ٣٩ ) بتصرف .

(٢) من مقالة للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله بمجلة الأمة عدد ٣١ السنة الثالثة ص(٢٦) .

بتطبيق حكم شريعتك ، وتنفرج أساريرها فرحة كلما وُجِّهَتْ ضربة إلى الشرع الحنيف عن طريق سن المزيد من القوانين العلمانية المستمدة من قوانين الغرب .

## موقف الإسلام من دعاة تحرير المرأة :

إذا كان حال هؤلاء الدعاة والداعيات كما تقدم ، وولاؤهم لأعداء الإسلام كما وصفنا ، فهل يحتاج الأمر منا إلى كثير تدبر فيما ينبغي أن يكون عليه موقف كل مسلمة ومسلم من دعوتهم الأثيمة ؟ .

أليس هؤلاء ممن قال تعالى فيهم : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة** ﴾ النور ، وإذا كان القوم أشربت قلوبهم حب الكافرين ، وأولعوا بما هم عليه من الضلال المبين . فأين أنت أيتها المسلمة من قوله تعالى : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه** ﴾ آل عمران .

وقوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ المجادلة .

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء . بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ قال حذيفة رضى الله عنه : « ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر لهذه الآية ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ قال على رضى الله عنه : « أذلة على المؤمنين » أهل رقة على أهل

دينهم « أعزة على الكافرين » أهل غلظة على من خالفهم فى دينهم ، وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴾** وقال تعالى : **﴿ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفى العذاب هم خالدون ﴾** وقال تعالى : **﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾** قال ابن عباس ( ولا تركنوا ) : ولا تميلوا ، قال بعض المفسرين فى الآية : ( فالنهى متناول للانحطاط فى هوتهم ، والانقطاع إليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومداهنتهم ، والرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيى بزيهم ، ومد العين إلى زهرتهم ، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم ، والركون : هو الميل اليسير ) ا هـ .

وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾** الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « من أحب فى الله ، وأبغض فى الله ، وعادى فى الله ، ووالى فى الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك » وقال تعالى : **﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾** .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأبى ذر : **« يا أبا ذر أىُّ عرى الإيمان أوثق ؟ قال : ( الله ورسوله أعلم ) ، قال : ( الموالاة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله ) »**[1] وعن أبى أمامة ، عن النبى ﷺ قال : **« من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان »**[2] ، وقال ﷺ : **« المرء مع من أحب »**[3] وقال ﷺ : **« ولا يحب رجل قوماً إلا جاء معهم »**[4] .

---

(١) حسن بشواهده ، انظر تحقيق ( شرح السنة ) للبغوى ( ١٣ / ٥٣ - ٥٤ ) .

(٢) جزء من حديث أخرجه أبو داود وحسنه الأرناؤوط ( شرح السنة ١٣ / ٥٤ ) .

(٣) متفق عليه .

(٤) قطعة من حديث أخرجه البغوى فى « شرح السنة » ( ١٣ / ٦٤ ) .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا تلاوة سورة الفاتحة فى اليوم والليلة سبع عشرة مرة ، فى كل مرة ندعو الله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ثم يبين سبحانه صفة هذا الصراط بقوله : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ وهم اليهود ﴿ **ولا الضالين** ﴾ وهم النصارى – فما ذاك إلا لأنه لا يمكن للمسلم أن يستقيم إلا إذا خالف أصحاب الجحيم ، وتميز عن هديهم وطريقهم ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله** ﴾ .

كيف إذن نصدق هؤلاء الأفاكين ، وننقاد لأولئك المغررين من أعداء ديننا وأمتنا ، الذين يخبرنا سبحانه عما فى قلوبهم بقوله : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾ ( آل عمران ) .

**فيا أيتها الأخت المسلمة :**

إن أيديهم الماكرة الخبيثة الخادعة قد امتدت إليك فى هذه الفتنة لتنزلك من علياء كرامتك ، وتهبط بك من سماء مجدك ، وتخرجك من دار سعدك ، فاقطعيها بسرعة وبقوة فإنها يد مجرمة ظالمة ، واهتفى بما هتفت به من قبل « عائشة التيمورية »[1] :

**بيد العفاف أصون عز حجابى ... وبعصمتى أعلو على أترابى**
**وبفكرة وقّادة وقريحة ... نقادة قد كملت آدابى**
**ما ضرنى أدبى وحسن تعلمى ... إلا بكونى زهرة الألباب**
**ما عاقنى خجلى عن العليا ولا ... سَدْل الخمار بلمتى ونقابى[2]**

واحذرى من الذين :

**قالوا ارفعى عنكِ الحجابا ... أوَ ما كفاك به احتجابا**

---

(١) هى الأديبة الألمعية كريمة أحمد تيمور باشا ( ت ١٩٠٢ م ) .

(٢) ( الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ) لزينب بنت يوسف فواز العاملى ص ٣٠٩ .

واستقبلي عهد السفو ر اليوم واطرحي النقابا
عهد الحجاب لقد تبا عد يومه عنا وغابا

ألقميهم الحجارة وأخرسيهم قائلة :

فأجبتهم والضحك ملء فمي ولم أعدم جوابا
مهلاً فما هذا الذى قد غركم إلا سرابا
أولا ترون الغرب كيـ ف غدا الرجال به ذئابا
أولا ترون عرى الـ أخلاق تنشعب انشعابا
كم نظرة للوجه تو رث فى الحشا جمراً مذابا
إن ترغبوا لنسائكم صوناً وعيشاً مستطابا
فدعوا السفور لأهله وارخوا عليهن النقابا(١)

## السفور مطية الفجور

عن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا ، وداعٍ يدعوا من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويْحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجْه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم** »(٢) .

وعن حذيفة رضى الله عنه أنه قيل له : « **( فى يوم واحدٍ تركت بنو إسرائيل دينهم ؟ ) قال : ( لا ، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشىء تركوه ، وإذا**

(١) ( فقه النظرة فى الإسلام ) لمحمد أديب كلكل ص ١٤٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن النواس بن سمعان ، وأخرجه الترمذى والنسائى ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، قال الألبانى : وهو كما قالا ( صحيح الجامع رقم ٣٧٨٢ ) .

**نُهوا عن شيء ركبوه ، حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه »** (١) .

ومعلوم أن المعاصي تزرع أمثالها ، ويولد بعضها بعضاً ، حتى يعز على العبد مفارقتها ، والخروج منها ، فكلما فرط من العبد معصية ، قالت أخرى إلى جانبها : ( اعملني أيضاً ) ، فإذا عملها قالت الثالثة كذلك وهلم جرّاً ، حتى تصير المعاصي هيئات راسخة ، وصفات لازمة ، وملكات ثابتة ، بحيث لو عطل المسيء سيئاته لضاقت عليه نفسه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وأحس من نفسه أنه كالحوت إذا فارق الماء ، حتى يعاودها فتسكن نفسه ، وتقر عينه ، ولا يزال المسكين يألف المعاصي حتى ينسلخ من قلبه استقباحها ، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ، بل يحبها حتى يرسل الله عليه الشياطين تؤزه إليها أزًّا ، فيكونون أعواناً عليه .

وعن أشياخ من أهل الشام قالوا : ( من أعطى أسباب الفتنة من نفسه أولاً ، لم ينج آخراً ، وإن كان جاهداً ) (٢) .

وفي بعض الآثار :

( إذا استشرفت للفتن استشرفت لك ) ،ومن هنا قال أبو السعود في « مراقي السعود » :

**سد الذرائـــع إلى المحرمِ حتم كفتحهـا إلى المنحتـمِ**

**إن الذي يسمح لقدمه أن تنزلق خطوة واحدة في أول الطريق ، لا يدري إلى أين تسوقه قدماه ، وإلى أين ينتهي به المسير ، لذا كان علينا أن نضع للأشياء حدوداً لا نسمح لأنفسنا بتخطيها .**

**سُنة إبليسية :**

( لقد نهج دعاة التحرر نفس منهج إمامهم الأول إبليس لعنه الله ، إذ

---

(١) رواه عن حذيفة رضي الله عنه أبو نعيم في الحلية .

(٢) ( ذم الهوى ) لابن الجوزي .

ما كان من إبليس إلا أن زيف للأبوين الحقيقة ، وألبس الحق لباس الباطل ، والباطل لباس الحق ، لم يأت الشيطان ليقول للإنسان : كل من الشجرة المحرمة كى يغضب الله عليك ، ويطردك من جنته ، وينزلك إلى دار الشقاء ، بل قال له : إن فى الأكل من الشجرسعادتك وهناءك وخيرك ، قال له : إن أنت أكلت من الشجرة حصلت على الملك العظيم والحياة الخالدة ، وتحولت إلى ملك غير قابل للفناء .

وزيادة فى الإضلال وإمعاناً فى التغرير بآدم أقسم له ولزوجه أنه صادق فيما يقول وأنه ناصح لهما ، يقدم لهما الخير ، ويدلهما على الطريق الحق ﴿ **فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ ، ﴿ **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين** ﴾ وما النتيجة ؟ ﴿ **فدلاهما بغرور فلماذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ ، ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ )[1] .

وهكذا تذرع الشيطان إلى الفجور الذى نراه اليوم ، ونعانى ويلاته بالسفور كخطوة أولى ، يستنزل بها المرأة المسلمة من عليائها وعفتها ، وما كان للمسلمة أن تطيعه أبداً إذا دعاها صراحة وهى فى قمة الاحتجاب والتعفف إلى ما نراه الآن مثلاً على شواطىء البحار ، وفى دور الخيالة ، لكن الخبيث تدرَّج معها ابتداءً بأن السفور ( كشف الوجه ) جائز شرعاً ، وانتهاءً بأن خير الهدى هدى أوربا وأمريكا .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله فى معرض كلامه عن أثر كشف المرأة وجهها فى وقوع الافتتان بها : ( .. ولهذا أُمِر النساء بستر وجوههن عن الرجال ، فإن ظهور الوجه يُسْفِر عن كمال المحاسن فيقع الافتتان )[2] ا هـ .

---

(١) ( المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم ) للدكتور عمر سليمان الأشقر ص(١٧ – ١٨) بتصرف .

(٢) ( روضة المحبين ونزهة المشتاقين ) ص (٦٧) .

جاء فى ترجمة عبيد بن عمر المكى من « ثقات العجلى » قال : ( كانت امرأة جميلة بمكة كان لها زوج فنظرت يوماً إلى وجهها فى المرآة فقالت لزوجها : أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتن به ؟ قال : نعم ، قالت: من؟ قال : عبيد بن عمير ، قالت : فأذن لى فلأفتننه ! قال : قد أذنت لك ، فأتته فاستفتته ، فخلا معها فى ناحية من المسجد الحرام ، قالت : فأسفرت عن مثل فلقة القمر ، فقال لها : « يا أمة الله اتقى الله » ... )[1] .

**تمسك المصريين بالحجاب :**

لقد بلغ تمسك المسلمين فى مصر بالحجاب مبلغاً عظيماً إلى حدٍّ دفع الشاعر(حافظ إبراهيم) يعبر عن عجز المتفرنجين عن إزاحة النقاب عن وجه المرأة المسلمة،ويأسِه هو نفسه من استجابة الشعب لتلك النعرة بقوله :

**فلو خطرت فى مصر حواء أمنا يلوح محياها لنا ونراقبه**
**وفى يدها : العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه**
**وخلفها موسى وعيسى وأحمد وجيش من الأملاك ماجت مواكبه**
**وقالوا لنا : رفع النقاب محلل لقلنا لهم : حَقٌ ، ولكن نجانبه[2]**

**سياسة « تكسير الموجة » :**

ولما كان تمسك المسلمين بالحجاب أصلاً من أصول نظامهم الاجتماعى ، نهج أعداء المرأة المسلمة سياسة تكسير الموجة شيئاً فشيئاً وهى سياسة استعمارية معروفة[3] فكانت الخطوة الأولى إبراز فكرة جديدة كنقطة انطلاق يتبعها ما وراءها ، وتضفى عليها الصبغة الدينية الشرعية حتى لا تصدم شعور العامة ويكون التذرع بالدين وفتح باب الاجتهاد سبيلاً إلى قبولها ، ولابد فى ذلك من

---

(١) ( حجاب المرأة المسلمة ) للألبانى هامش ص ٥٣ .
(٢) جريدة الأهرام ( ٥ / ٩ / ٨٢ ) .
(٣) انظر ( الاتجاهات الوطنية ) (٢ / ٢٤٥ - ٢٤٦ ) .

استدراج بعض الشيوخ والعلماء لكى يدلوا بدلوهم فى القضية ، باعتبار أنها خلاف فقهى فيه راجح ومرجوح ، ومن هنا تبدأ القابلية للتردد وزلزلة الأفكار ، أجل لابد أن يبدأ الزحف بصحبة الشيوخ الذين تقدسهم العامة ، والذين يستغلون فى البداية كأسلحة مؤقتة ، ولا بأس أيضاً بالتنقيب فى الأسفار والبحث هنا وهناك عن عبارات وفتاوى مبتورة تبرر الانحراف عن الشريعة ، ثم بعد ذلك وبعد تمكن الفكرة الجديدة من القلوب وشن الحملات على ما يخالفها من الأوضاع الاجتماعية السائدة يبدأ الانخلاع من الدين شيئاً فشيئاً لتختفى النبرة الإسلامية حيناً ثم تأتى مرحلة الهدم والضرب العشوائى الذى يحطم كل شىء .

لقد بدأت حركة « تحرير المرأة » على أيدى المتفرنجين ، فقلدهم بعض الخطباء الجهلة ، والكتاب الفسقة ، ونشبت المعركة أول ما نشبت حول ( كشف وجه المرأة ) أى السفور ، وأقام العلماء الناصحون الدنيا وأقعدوها ليحبطوا تلك الدعوة إلى السفور لا لأنه الحكم الراجح فى المسألة فحسب ، ولكن لأنهم فطنوا لحقيقة الخطة المدمرة التى تستهدف القضاء على المرأة المسلمة وتحطيم كيانها ، لقد نادوا بتخليص المرأة من الحجاب ولزوم البيت ، والخضوع للآباء ، والخنوع للأزواج ، والبعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية ، وواتت هذه الحركة فرصة وجود الأمة المسلمة مستعبدة للأجنبى الكافر ، مستعمرة له ، ترزح تحت نيرانه ، وتئن تحت كلكله ، تتوجب لما يصب عليها من جام غضبه ، وما يسومها به من سوء عذابه ، فنسبوا – مكراً وخديعة – كل ما حلّ بالأمة المسلمة من تأخر وضعف وهون ودون إلى حجاب المرأة وعفتها وحيائها ، وبعدها عن التعليم العقيم والسياسة الفاجرة ، والحياة الاجتماعية الفاسدة .

وانخدع كثير من النساء وأوليائهن بتلك الدعاوى المعسولة المسمومة ، وأخذت الفتاة المسلمة تتمرد على الحجاب ، وتحاول التخلص منه ، فبدأت لأول مرة بإلقاء البرقع الذى كان على وجهها ، ونزع النقاب من الوجه كذلك ، فظهرت الوجوه ما يحجبها برقع ولا يغطيها نقاب – وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كانت خطوة جريئة من المرأة يومذاك ، صفق لها دعاة السفور ، وعباد الشهوات ، ورواد الفجور .

## سُنَّةٌ سَيِّئَةٌ :

ثم كان أن خطا الناس إلى أبعد مما نادى به قاسم أمين ، فقد زعم أنه إنما يدعو إلى الوقوف بالحجاب عندما أمر الله به ، ولم يدع قط إلى كشف العورات كالأذرع والسوق وغيرها ، ولم يدع صراحة إلى الاختلاط بالرجال ومراقصتهم ، كلا ولا دعا إلى شيء مما نراه الآن من انحطاط وتهتك ، ولكن قاسم أمين – وإن لم يدع إلى شيء من ذلك صراحة – هو الذى فتح الباب لهذه الدعوات ، وهو الذى سن تلك السنة القبيحة سنة السفور ، لتكون ذريعة إلى ما تلاها من فساد ، وهو الذى خطا بالمرأة المسلمة فى طريق يعلم كل عاقل أن الناس لا بد أن يسيروا فيه من بعده خطوات وخطوات .. ، ويعلم كل مدرك واعٍ أن الخلف بين المسلمين وبين الغربيين فى هذه القضية خاصة مما لا يرجى معه اتفاق إلا بفناء أحد المذهبين فى الآخر تماماً ، وبلا قيود ، وبلا حدٍّ وسط .

**« ومعظم النار من مستصغر الشرر » :**

أخذت الأمور تتطور سريعاً حتى استنفدت دعوة قاسم أمين – فى وقت وجيز – كل أغراضها ، وسارت الحال على سنة التدرج المعروفة ، واندفع الناس إلى ما وراء السفور فى سرعة غير منتظرة ، فقد بدأت الفتنة العظمى بأن خلعت المرأة النقاب ، وخلعت معه ما هو أغلى منه وأثمن ألا وهو ثوب الحياء الذى طالما صان وجهها أن يكون معروضاً مبذولاً لكل من شاء أن يراه من أجنبى أو فاسق أو كافر ، ثم استبدلت المرأة المعطف الأسود بالحَبَرة[1] ، وما هى إلا فترة من الزمن حتى امتدت يد التحرر إلى الخمار الذى كان لا يزال يستر شعر الرأس ، وبدا – لأول مرة – شعر المسلمة مكشوفاً لا شيء عليه يستره عن أعين الناس من أجانب وأقارب ، وبذلك شُل جسم الحياء فى المرأة ، ولم يعد قادراً على منعها من أن تحدث ، وتجالس ، أو تصافح ، وتضاحك من شاءت من الرجال عامة ،

---

(١) الحبرة : بفتحتين – إزار كانت المرأة تلتحف به إذا برزت للطريق ، وقد كان يتخذ من قماش أسود ، ويتكون من قطعتين ، تدور إحداهما حول الخصر ، وتنسدل إلى أن تغطى الساقين ، وتنزل الأخرى من فوق الرأس فتغطى الصدر والكتفين ، وتنتهى إلى ما دون الخصر ، وقد إختفى هذه الزى الآن .

وأصدقاء وأقارب الزوج خاصة وإن بعدوا أو سفلوا .

وتأتى بعد ذلك الخطوة الأكثر جرأة إذ تعمد المرأة إلى ملاءتها أو عباءتها أو معطفها ، فتلفها كالثوب الخلق ، وترمى بها بعيداً عن ساحة الحياة ، وتخرج المرأة المسلمة لأول مرة فى تاريخ إسلامها فى درع سابغ مزين بالألوان المزخرفة ، تحته غلالة لطيفة ، وما فوقه شىء ...

ثم إذا بالمقص يتحيف هذه الثياب فى الذيول والأكمام وفى الجيوب[1] ، ولم يزل يجور عليها ، فضيّقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها ، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطىء البحر فى المصايف بما لايكاد يستر شيئاً ، ولم تعد عصمة النساء فى أيدى أزواجهن ، ولكنها أصبحت فى أيدى صانعى الأزياء فى باريس وغيرها من اليهود ومشيعى الفجور .

وقطعت المرأة مراحل التعليم المختلفة ، واقتحمت الجامعة ، مخالطة للرجال فى الطرقات والمواصلات والمدرجات ، مزاحمة فيما يلائمها وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات ، وشاركت فى وظائف الحكومة ، ثم لم تقف مطالبها عند حد فى الجرى وراء ما سماه أنصارها « حقوق المرأة » أو « مساواتها بالرجل » ، وكأنما كان عبثاً أن خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى ، وأقام كلاً منهما فيما أراد بحكمته جل وعلا ، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات ، وحطم النساء الحواجز التى كانت تقوم بينهن وبين الرجال فى المسارح وفى الترام وفى كل مكان ، فاختفت المقاعد التى جرت العادة بتخصيصها للسيدات ، بعد أن أصبحن لا يستحيين من مشاركة الرجال .

تتابعت هذه التطورات فى سرعة مذهلة ، ولم تدع فرصة للمعارضة ، وأعان على اندفاعها جو الثورة التى تلت الحرب ، وما كان يوحى به من جرأة ، ومن تمرد على كل قديم ، وقد ظهرت طلائع ذلك فى مظاهرة النساء المشهورة فى مارس سنة ١٩١٩ ، التى طافت بشوارع القاهرة هاتفة بالحرية ، فى طريقها إلى

---

(١) الجيب : فتحة إدخال الرأس .

دار المعتمد البريطاني ، لتقدم إليه احتجاجاً مكتوباً على تعسف سلطات الاحتلال ، وقد كان عدد المتظاهرات يربو على الثلاثمائة ، وعلى رأسهن صفية زغلول وهدى شعراوى[1] ، وهذه المظاهرة هى التى قال فيها (حافظ إبراهيم) ، يصف تعرض الجيش البريطانى لها متهكماً[2] :

| | |
|---|---|
| خرج الغوانى يحتججن | ورحت أرقب جمعهنه |
| فإذا بهن تخذن من | سود الثياب شعارهنه |
| وطلعن مثل كواكب | يسطعن فى وسط الدجنه |
| وأخذن يجتزن الطريـ | ـق ودار سعد قصدهنه |
| يمشين فى كنف الوقار | وقد أبنَّ شعورَهنه |
| وإذا بجيش مقبل | والخيل مطلقة الأعنه |
| وإذا الجنود سيوفها | قد صوبت لنحورهنه |
| وإذا المدافع والبنا | دق والصوارم والأسنه |
| والخيل والفرسان قد | ضربت نطاقاً حولهنه |
| والورد والريحان فى | ذاك النهار سلاحهنه |
| فتطاحن الجيشان سا | عات تشيب لها الأجنه |
| فتضعضع النسوان والـ | نسوان ليس لهن منه |
| ثم انهزمن مشتتات | الشمل نحو قصورهنه |
| فليهنأ الجيش الفخو | ر بنصره وبكسرهنه |
| فكأنما الألمان قد | لبسوا البراقع بينهنه |
| وأتوا (بهندنبرج) مخـ | ـتفياً بمصر يقودهنه |
| فلذاك خافوا بأسهـ | ـن وأشفقوا من كيدهنه |

---

(١) ومن النساء اللاتى اشتركن فى تلك المظاهرة كزعيمات ( حرم حنا مسيحة ، حرم د . نجيب إسكندر ، حرم إسكندر مسيحه ، الآنسة جوليت صليب ، رفائيل بغدادى ، حرم ويصا واصف ، الآنسة مارى ميرهم ، حرم صليب منقريوس ، حرم ميخائيل لبيب ) وحرم قاسم أمين .

(٢) ديوان حافظ إبراهيم ( ٢ / ٨٧ ) .

وتجرأت المرأة منذ ذلك الوقت على المشاركة فى القضايا الوطنية[1] ، وفى مختلف الميادين الاجتماعية ، فتألفت لجنة مركزية للسيدات الوفديات ، شاركت مشاركة فعالة فى حركة المقاطعة الاقتصادية سنة ١٩٢٢ ، وتزعمت صفية زغلول حرم زعيم الثورة الأول وكريمة مصطفى فهمى باشا هذه الحركة الأولى ، التى طفرت بالمرأة إلى وضع لم يحلم قاسم أمين أن تبلغه فى مثل هذه المدة الوجيزة وبهذه السهولة ، وغفلت عين المعارضين من المحافظين عن هذه الخطوات الجريئة التى أضفى عليها جو الثورة لوناً من النبل حفظها من أن تهاجم أو تمس .

ثم تنبه المعارضون ، فإذا المرأة ماضية قدماً فى استئناف الطريق التى وضعت قدمها على أوله باشتراكها فى ثورة ١٩١٩ ، فأخذت تؤسس الجماعات ، وتقيم الحفلات ، وتعقد الندوات والمحاضرات ، وتزعمت هذه الحركة النسوية هدى شعراوى ، وتجرأت هذه المتزعمة على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل ، فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة ، وأخذت تلقى بالتصريحات والأحاديث لمندوبى الصحف،وجزع المحافظون لما صحب هذه الحركة من ميل إلى التبرج ، ومن نزوع إلى التحرر والانطلاق ، وأنكروا ما رأوا من تغير حال المرأة ، ومن جرأتها على التقاليد،وتمردها على سلطة الأب والزوج ، وراحوا يتابعون فى ذهول تطور الزى ، وتقلص الثوب فوق جسدها فى سرعة تجاوزت كل ما يتخيلون من حدود .

يقول عبد المطلب ناعياً على النساء تقصير الثياب والتبرج[2] :

**ما فى بنات النيـل من    أرب لذى غرض نبيل**
**أصبحن عاباً فى الزمـا    ن وسوأة فى شر جيل**

---

(١) من ذلك ما حدث يوم الجمعة ١٢ديسمبر من نفس العام حيث ( سبقت حفنة من سيدات مصر جميع الهيئات الوطنية إلى الاحتجاج – ضد لجنة ملنر – على شكل مؤتمر وطنى فى دار الكنيسة المرقسية بالقاهرة ) ا هـ عن ( المرأة المصرية ) لدرية شفيق ص (١٢٦) .

(٢) [ ديوان عبد المطلب ( ص ١٨٤ – ١٨٨ ) وليت شعرى ماذا كان عساه . قائلا لو رأى أزياء المرأة اليوم ، فقد يبدو أن أشد أنصار الحشمة تطرفاً ، لا يكاد يطمع فى أن يُعيد المرأة إلى مثل هذا الزى الذى يشكو منه الشاعر ] من تعليق الدكتور محمد محمد حسين ( الاتجاهات الوطنية ٢ / ٢٤٠ ) .

ما هذه الخبرات تهـ ـفو فى الخمائل والحقول
نكر العفاف ذيولها ومن الخنى قصر الذيول
إن ينتسبن إلى الحجا ب فإنه نسب الدخيل
يختلن أبناء الهوى بالدل والنظر الختول
من كل خائنة الحليـ ـل تهيم فى طلب الخليل
ما لابنة الخدر المصو ن وربة المجد الأثيل
أودى شفيف نقابها بكرامة الأم البتول[1]
وعلا رنين حجولها أسفاً على الذيل الطويل
فإذا مشت هتك النقا ب محاسن الوجه الجميل
ولقد ينم عبيرها فتحسه من نحو ميل
أهى التى فرض الحجا بَ لصونها شرعُ الرسول ؟
جعل الحجاب معاذها من ذلك الداء الوبيل
يا منزل القرآن ، نو راً للبصائر والعقول !
عميت بصائر أهل وا دى النيل عن وضح السبيل
ذهلوا عن الأعراض ، لو يدرون عاقبة الذهول !

كان تيار السفور والتبرج جارفاً ، لم تستطع صيحات المحافظين أن تقف فى وجهه ، بل لم تستطع أن تقلل من حدته أو تخفف من سرعته ، ولكن ذلك لم يكن ليثنيهم عن التنبيه والتحذير على كل حال ...

## صيحة نذير :

وهذا هو (شكيب أرسلان) ينشر مقالاً عن « السفور والحجاب »(٢) ، يحاول أن يقدم للناس درساً يسنبط فيه العظة من تطورات السفور فى تركيا ، فيعرض للمراحل التى مر بها ، ليبين أن الدعوة إلى نزع الحجاب هى مرحلة تهيىء لما يليها من الدعوات التى ترمى إلى هدم أحكام الإسلام ، فيقول فيما يقول :

---

(١) الشاعر هنا لا يشكو من نزع النقاب ، ولكنه يشكو من رقته التى تشف عما تحته ؟ ! .
(٢) المنار عدد ٢٩ ذى الحجة ١٣٤٣ هـ - ٢١ يولية ١٩٢٥ م ص ( ٢٠٦ - ٢١٠ ) .

(عند إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ قال «أحمد رضا» بك من زعماء أحرار الترك : « مادام الرجل التركى لا يقدر أن يمشى علناً مع المرأة التركية على جسر غَلَطة(٢) وهى سافرة الوجه ، فلا أعد فى تركيا دستوراً ولا حرية » ، فكانت هذه هى المرحلة الأولى ، وفى هذه الأيام بلغنى أن أحد مبعوثى مجلس أنقرة ، الكاتب رفقى بك ، الذى كان كاتباً عند جمال باشا فى سورية ، كتب : « إنه مادامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من غير المسلمين(٢) » ، بل مادامت لا تعقد مقاولة مع رجل تعيش وإياه كما تريد ، مسلماً أو غير مسلم ، فإنه لا يعد تركيا قد بلغت رقياً ، فهذه هى المرحلة الثانية ) ثم يقول شكيب أرسلان :

( فأنت ترى أن المسألة ليست منحصرة فى السفور ، ولا هى بمجرد حرية المرأة المسلمة فى الذهاب والمجىء كيفما تشاء ، بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها ، متصل بعضها ببعض ، لابد من أن ينظر الإنسان إليها كلها من أولها إلى آخرها ، فإذا كان ممن يرى حرية المرأة المطلقة ، فعليه أن يقبلها بحذافيرها ... أما أن نجمع بين حرية المرأة وعدم حريتها ، وأن نطلق لها الأمر تذهب حيث أرادت ، وتحادث من أرادت ، وتضاحك من أرادت ، وتغامز من أرادت ، ثم إذا صبا قلبها إلى رجل من غير جنسنا ، فذهبت وساكنته ، وكان بينها وبينه ما يكون بين الرجل وزوجته ، أقمنا القيامة ، ودعونا بالمسدس ، وقلنا : ياللحمية ، ياللأنفة ، ياللغيرة على العرض ! فهذا لا يكون ! وليس من العدل ولا من المنطق أن يكون ) .

ثم يقول : ( والنتيجة التى نريدها قد حصلت ، وهى أن سلوكنا مسلك الأوربيين حذو القذة (٣)بالقذة فى هذه المسألة ، هذا له توابع ولوازم لا بد أن

---

(١) كوبرى جالتا أو بلتا جسر شهير فى مركز مدينة استانبول ، يربط بين قارتى أسيا وأوربا ، ويصل بين شطرى المدينة التى تمتد فى القارتين .

(٢) وبالفعل نص القانون المدنى التركى فيما بعد على إباحة زواج النصرانى من المسلمة ، انظر مجلة الرسالة العدد ٨٠ تاريخ ٩ شوال ١٣٥٣ ، ١٤ يناير ١٩٣٥ ص(٤٥)

(٣) القذة : ريش السهم ، والحذو : القطع والتقدير على مثال ، أى كما تقدر كل واحدة منها على صاحبتها وتقطع .

نقبلها ، ولا يبقى معها محل لكلمة : « أعوذ بالله » ، كلا ، لا يوجد هناك «أعوذ بالله » بل تلك مدنية ، وهذه مدنية ، تلك نظرية ، وهذه نظرية ، فعلينا أن نختار إحدى المدنيتين ، أو إحدى النظريتين ، مهما استتبعت من الأمور التى كان يقال فى مثلها عندنا : أعوذ بالله ) اهـ .

وقد كان هذا الذى قاله شكيب أرسلان وتوقعه فى سنة ١٩٢٥ صحيحاً تماماً ، فلم تمض عليه ثلاث عشرة سنة حتى ارتفع صوت يقول تحت عنوان :

« بعد السفور »[١] :

( إننا لم نخط بعد الخطوة الحاسمة فى سبيل تطبيق روح الحضارة العصرية على عاداتنا وأخلاقنا وأساليب حياتنا ، إن نساءنا العصريات المتعلمات اللواتى يطالعن الصحف ، ويقرأن القصص ، ويغشين المسارح ودور السينما ما يزال يحال بينهن وبين الظهور فى المجتمعات البيتية أمام رجل غريب ، فنحن قد سلمنا بمبدأ تعليم نسائنا ، ولكنا لم نسلم بعد بقدرة هؤلاء النساء على الانتظام فى حفل كبير يضم عدداً مختاراً من أفراد الجنسين ، ويتألف منه مجتمع مصرى مختلط أشبه بالمجتمعات الأوربية التى نشهدها فى مصر ، ونحسد الأجانب عليها ) .

ويزعم الكاتب الكاثوليكى أن ذلك راجع إلى أن ( ثقة الرجل المصرى بالرجل المصرى لا تزال معدومة ) ، ثم يقول : (وقد ترتب على ذلك أنك أصبحت ترى امرأة صديقك السافرة فى الشارع وفى المحل التجارى وفى دار المسرح أو السينما ، ثم لا تستطيع أن تراها فى بيتها لتتفهم حقيقة شخصيتها ، وتعرف كيف تعيش وكيف تشعر وكيف تفكر ، أصبحت تبصرها فى الحياة العامة ، وتعجب بها ، ولكنك متى أردت تهذيب عواطفك وصقل إحساساتك ومشاعرك بالجلوس إليها والتحدث معها وإشراكها فى المسائل التى تشغل عقلك وعقل مواطنيك ، حيل

---

(١) مقال فى ( الهلال ) عدد أول يناير ١٩٣٨ - ٢٩ شوال ١٣٥٦ ( ص ٢٦٨ - ٢٧٢ ) للصحافى الكاثوليكى إبراهيم المصرى - انظر جريدة أخبار اليوم تاريخ ٣٠ / ١٠ / ١٩٨٠ ص (١١) .

بينك وبينها ، واتهمت بفساد النية وسوء القصد ) .

ثم يزعم الكاتب فى مقاله أن (المجتمع المختلط هو الذى يقرب مسافة الخلف بين الجنسين ، ويقيم علاقات الرجل والمرأة على قاعدة التفاهم الفكرى العاطفى ) .

ثم يدعو الكاتب المصريين لأن يطردوا من عقولهم : ( الاعتقاد الشرقى الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلا بد أن ينهض الشيطان بينهما ، وينفث فى نفسيهما سموم الرذيلة والشر[1] ، هذا هو سر تأخرنا ، وهو بقايا عصور الجهل والخوف والظلام ) اهـ كلامه .

شعر :

| | |
|---|---|
| من عذيرى من معشر هجروا العقـ | ـل وحادوا عن طُرْقه المستقيمهْ |
| لا يرون الإنسان قد نال حظا | من صلاح حتى يكون بهيمه[2] |

**والآن يا أختى المسلمة :**

هل أدركت مدى فطنة فقهائنا لما حرموا السفور سداً للذريعة ؟ .

وهل لك أن تسمعى هذه النصيحة من شيخ ناصح أمين[3] :

( إن بداية السفور والتبرج الجاهلى الذى عليه جل نساء المؤمنين اليوم فى ديار المسلمين ، إنما بدأ من كشف الوجه بإزالة البرقع والنقاب عنه حتى بات ، وأصبح ، وأضحى ، وظل ، وأمسى من المعلوم بالضرورة : أن من كشفت من الفتيات عن وجهها اليوم ستكشف غداً حتماً عن رأسها وصدرها وساقيها ، وحتى

---

(١) هذا من الكاتب النصرانى زيادة فى الكفر إذ إن الذى يشير إليه ليس اعتقاداً شرقياً ولكنه معنى حديث شريف عن سيد ولد آدم ﷺ .

(٢) من شعر الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله . نقلاً عن « المجددون فى الإسلام » ص (٢٧٠) .

(٣) هو فضيلة الداعية الإسلامى الكبير أبو بكر جابر الجزائرى حفظه الله فى رسالته : ( إلى الفتاة السعودية والمسئولين عنها ) ص (٢٦) .

فخذيها ، ولا يجادل فى هذا ، أو لا يسلمه إلا مغرور مخدوع ، أو مضلِّل مُغَرر مخادع يعمل لحساب الماسونية العالمية التى جعلت من أهدافها القضاء على الإسلام عقيدة وبيتاً ومجتمعاً ودولة .. وبناء على هذا فإن اليد التى تحاول أن تحسر الحجاب عن وجه فتياتنا اليوم ينبغى الضرب عليها ، وإن اللسان الذى يدعو فتاتنا إلى نزع الحجاب بإسقاط ملاءتها ينبغى أن يقطع ) ويقول فضيلته محذراً من المغررين(1) : ( إنهم اليوم لا يطلبون منك أكثر من كشف وجهكِ ، وبحجة أن كشف الوجه مختلف فيه بين أهل العلم فى كونه الزينة التى يجب أن تخفيها المسلمة ، أو من غير الزينة مما لا يجب عليها إخفاؤها .. غير أنهم يعلمون علم اليقين – بحكم التجارب الطويلة العديدة – أنك يوم تكشفين عن وجهك ، ويذهب ماؤه وحياؤه ستكشفين لهم عما عدا ذلك ) ا هـ .

وصدق الشيخ سعيد الجابى رحمه الله إذ قال :

رفع النقاب وسيلة إن حُبِّذت ... ضُمَّت إليها للفجور وسائلُ
فالاختلاط فمرقص فتواعد ... فالاجتماع فخلوة فتواصل

## فصول من المعركة

● **بين « الرافعى و « طه حسين » :**

إزاء ذلك التطور الذى جنحت إليه قضية المرأة ، وما كان يبذل من جهود للقضاء الكامل على كل مظهر من مظاهر إسلامها ، وما ظهر من أعراض ذلك فى اختلاط الطلبة بالطالبات فى الجامعة ، بعد أن كان للطالبات مقاعد خاصة بهن ، رفع بعض طلبة الكليات التماساً إلى مديرها وعمدائها وأساتذتها سنة ١٩٣٧

---

(1) السابق ص ١٧ – ١٨ بتصرف .

يطلبون فيه إدخال التعليم الدينى فى الجامعة ، كما يطلبون الفصل بين الطلبة والطالبات ، فكتب الرافعى يقول[1] :

( حياكم الله يا شباب الجامعة المصرية . لقد كتبتم الكلمات التى تصرخ منها الشياطين . كلمات لو انتسبن لانتسبتَ كل واحدة منهن إلى آية مما أنزل به الوحى فى كتاب الله .

فطلب تعليم الدين لشباب الجامعة ينتمى إلى هذه الآية :

**﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ .**

وطلب الفصل بين الشبان والفتيات يرجع إلى هذه الآية :

**﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ .**

يريد الشباب مع حقيقة العلم حقيقة الدين ، فإن العلم لا يعلم الصبر ولا الصدق ولا الذمة . يريدون قوة النفس مع قوة العقل ، فإن القانون الأدبى فى الشعب لا يضعه العقل وحده ، ولا ينفذه وحده .

يريدون قوة العقيدة حتى إذا لم ينفعهم فى بعض شدائد الحياة ما تعلموه نفعهم ما اعتقدوه ...

لا لا ، يارجال الجامعة ، إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر فليس هناك شيء اسمه حرية الأخلاق .

وتقولون : أوربا وتقليد أوروبا ! ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا لخضوعنا لأوربا .

وتقولون : إن الجامعات ليست محل الدين ، ومن الذى يجهل أنها بهذا صارت محلاً لفوضى الأخلاق ؟

---

(١) وحى القلم ( ٣ / ١٨٤ - ١٨٨ ) تحت عنوان : ( قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر ) .

وتزعمون أن الشباب تعلموا ما يكفى من الدين فى المدارس الابتدائية والثانوية ، فلا حاجة إليه فى الجامعة .

أفترون الإسلام دروساً ابتدائية وثانوية فقط ؟ أم تريدونه شجرة تغرس هناك لتقلع عندكم ) ا هـ .

## ● بين « الزهاوى » و « ابن الخطيب » :

ومن فصول المعركة الهجمات التى شنها الشاعر العراق الملحد المدعو جميل صدقى الزهاوى[1] حيث أكثر من الطعن فى الدين والتنفير من شرائعه ، حتى قال فى الحجاب :

**أخر المسلمين عن أمم الأر ض حجاب تشقى به المسلماتُ**

فانبرى له الشيخ ابن الخطيب وعارضه قائلاً[2] :

**بئس ما يدعى فلاسفة العصـ ـر من أن السفور فيه الحياةُ**
**وهو حق إذ إن أسلافنا الأعـ ـراب من فرط من يحبون ماتوا[3]**

---

(١) والزهاوى هو القائل فى حب الإنكليز أعداء الإسلام والتنفير من الترك المسلمين :

تبصر أيها العـــربى واتـــرك ولاء التـــرك من قوم لئـــام
ووال الإنجليــز رجـــال عدل وصدق فى الفعال وفى الكلام
أحب الإنكليـــز وأصطـــفيهم لمرض الإخـــاء فى الأنـــام
جلوا فى الملك ظلمة كل ظلم بعـــدل ضاء كالبـــدر التمام

( من ديوان الزهاوى ) ط دار العودة – بيروت

وله أشعار كثيرة فى ذم الحجاب والتنفير منه ضربنا عنها صفحاً – عليه من الله ما يستحقه .

(٢) ( حقائق ثابتة فى الإسلام ) لابن الخطيب ص ( ٨١ – ٨٦ ) .

(٣) تهكم بهذا الرأى الفاسد والقول المذموم ، فهو يصدقهم فى مازعموه من أن السفور سبب للحياة ، إشارة إلى أن من مات من أعفاء العرب حزناً وجوى لعجزهم عن رؤية من يحبون نظراً لأن الحجاب كان يحول دون ذلك ، فيموت العاشق أو يجن ، وفى هذا يقول قائلهم :

ما كان أغنـــانى عن حب مَن مِن دونـه الأستـارُ والحُـجُبُ

فى حين أن السفور الممقوت قد خلط الحابل بالنابل ، وجعل العاشق متمكناً ومالكاً لمن يعشقها ، فانقشع ( بفضل ) السفور الأسى والجوى ، وحل محلهما القرب والنجوى ، فعم بذلك الشر والبلوى ، واستوجبوا به غضب الجبار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

يا خليلى حدث عن الشرق قدماً ... حين كانت تعظم المعجزاتُ
حين كان القرآن يرجى ويخشى ... والقوانينَ آيةُ البينـات
حين كان الحديث يتلى ولا يز ... ويه إلا ذوو العقول الثقاتُ
إننا فى الزمان نلفى أناساً ... فى التوضى علومهم قاصرات[1]
وهمو بعدُ يدَّعون علومـاً ... أنكرتها عصورُنا الخاليـات[2]
ليت شعرى ماذا يريدون منا ... وصنوف الأذى بنا محدقات
بنت مصر هاتى سفورك واغشى ... كلَّ نادٍ ولتمل منكِ الجهات[3]
عرفى نفسك الغداة وطوفى ... لا تَفُتْكِ الأسواقُ والحانـات
ثم أمّى مجالس القوم وادعيـ ... ـهم إلى حيث لا تمل الدعاة
علناً بالسفور نبنى حصوناً ... شامخات بها ترد العـداة
وعسانا نرى البرايا سجوداً ... لابن مصر وقد علاه السبات[4]
ولعمرى لقد بكي الدين حزناً ... حين قال الخطيب : يا سيدات[5]

● ومن قذائف الحق فى هذه المعركة :

ما كان من الشاعر الأستاذ ( محمد حسن النجمى ) ، وقد اطَّلع على رَدِّ فضيلة الشيخ( مصطفى صبرى )رحمه الله على السفوريين[6] ، فأنشأ القصيدة الآتية :

---

(١) أى أنهم لا يتقنون الوضوء ، أو : لا يتوضئون أصلاً لتركهم الصلاة .

(٢) وذلك لأنهم مع جهلهم حتى بفقه الوضوء ، ويتقمصون صور العلماء والأحبار ، ويتشدقون بالنصوص الشرعية بعد تحريفها وتأويلها مدعين أن السفور لا ينافى الدين ، ويأتون بفهم للنصوص سقيم لم يسبقهم إليه سلف ولا خلف . .

(٣) أمر قصد به التهكم والاستهزاء .

(٤) أى تركه النوم والخمول .

(٥) أى عندما غشيت النساء المحافل والمنتديات مختلطات بالرجال ، وصار الخطباء يفتتحون كلامهم بقولهم ( سيداتى سادتى ) ، وهذه العبارة كان ( سعد ) يحلم باليوم الذى تقال فيه ، إذ قال فى حفل تكريم له أقامه تجار العاصمة على أثر عودته من منفاه : ( سادتى .. كنت أود أن أقول : « سيداتى وسادتى » .. وأتعشم أن يأتى يوم أرى فيه خطباءنا يبدأون بتلك البداية ) ا هـ كتاب ( المرأة العصرية ) لدرية شفيق ص (١٣٣) .

(٦) فى كتابه ( قولى فى المرأة ) .

زعم السفور والاختلاط وسيلة   للمجد قوم في المجانة أغرقوا
كذبوا ، متى كان التعرض للخنا   شيئاً تعز به الشعوب وتسبق
ما بالهم والبنت قد فتنت بما   قالوا ، وحلَّ بها الجنون المطبق
والقول أصبح فى الخروج لها فلا   كفٌ تكف ولا رِتاج يُغلق
ما خطبهم كلفوا بنزع حجابها   وتكلفوا فيه البيان ونمقوا
وتناولوا بالضعف من حاجاتنا   واللينِ ما هو بالصرامة أخلق
أغدت مشاكلنا الكبيرة كلها   ذيلاً يجرجره السفور المطلق
أم أنهم ضلوا السبيل وغرهم   ببريقه هذا الجديد المخلق

* * *

أشبابنا المرجو صيحةُ جازع   أغرى بها هذا البلاء المحدِق
ونصيحة يفضى برائع سرها   لقوام نهضتنا محب مشفق
لا ترهفوا سمع الحفى لقالة   أبداً بها بوم البطالة تنعق
لم يقصدوا خيراً بها لكنهم   رَأَوْا القوى يسيغها فتملقوا
ولربما اجترح القوى خطيئة   فمضى الضعيف بمدحها يتشدق
قوا أهلكم ونفوسكم عاراً إذا   لم تتقوه بغيركم لا يعلق
وتناولوا بالزجر حُمْراً كلما   هيجت إلى مُتع الإباحة تنهق
ليس التمدن أن نرى روح الحيا   بيد الخلاعة كل يوم تزهق
والبنت يدفعها براحته الهوى   فتروح تهوى من تشاء وتعشق
لكنه العلم اهتدى بضيائه   غرب البسيطة حين ضل المشرق

ولعل مما يصور واقع ( المرأة الجديدة ) التى أنتجتها دعوة التحرير أصدق تصوير هذه القصيدة لفضيلة الشيخ عبد الفتاح عشماوى كتبها جواباً لشاب مسلم حائر بعنوان :

## « حيرة »

سأل الفتى هلا أزلت لحيرتى ... كيف السبيل وقد جعلتك قدوتى ؟
فأجبت ، أفصح ما بذاتك علنى ... أجد السبيل بقدر ما فى طاقتى
فأجاب ، أبغى أن أصون غريزتى ... بزواج من تدعى بحق زوجتى
ليست مشاعاً للجميع يرونها ... تمشى لتعرض ما يذل رجولتى
إن قلت صونى سمعتى وتسترى ... ألفيتها عابت على ( رجعيتى )
أو قلت : قال الله ، كان جوابها ... ما قال ( قاسم ) أو ( فرويد ) غايتى

وإذا خطبت وقلت : ما هو مهرها ؟ ... لم يتركوا إلا الفراغ بجعبتى
وإذا رأتنى بالشعيرات التى ... فى عارضى طلبت إزالة لحيتى
أوْ لا زواج وقد أطاعوا أمرها ... وأنا الطريد أجر ذيل الخيبة
فإذا رضخت وصار وجهى ناعماً ... وتزوَّجتنى والمُضَيَّع سنتى
ورأيتها يوماً تغادر بيتنا ... وسألتها ، قالت : أريد إدارتى
لم يبق إلا أن أكون مكانها ... وهى التى تسعى لتجلب لقمتى
وطعامها أطهو وأغسل ثوبها ... وكذاك أرضع طفلها يا بلوتى
لم لا تكون وقد رأت حكامها ... أعطوا لها ماحرمته شريعتى
من لى بذات الدين تحفظ غيبتى ... غابت فلم أر من أراها زوجتى
فأجبته وأنا أغالب دمعتى ... أسمعتنى ما زادنى من حسرتى
لكن أقول وقد وهبتَ هداية ... لا تيأسن وابحث عن المهدية
فهناك من صُنَّ الحياء وإنما ... غُيِّبن خلف الخِدر خدر العفةِ
قل للتى اخضرت ولكن من دِمنَ ... لا أشتريك لكى أبيع ديانتى
لو عشت طول العمر غير مزوج ... فأنا حريص أن أبيض صفحتى
ولدىَّ وعد الله حق قاطع ... عندى عروسك والزفاف بجنتى(*)

---

(*) محاضرات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة – الموسم الثقافى للعام الدراسى ١٣٩٤ هـ – ١٣٩٥ هـ ص (٢٤١) .

## المصير الأسود

وكنتيجة حتمية لذلك السفور ، وهذا التبرج الجاهلى الكبير ، ولنفس النظام التعليمى الفاسد الذى غايته المثلى ، وهدفه الأسمى الوظيفة الحكومية وغير الحكومية ، امتلأت دور الحكومة ومصالحها بالموظفات ، وازدحمت بهن المسارح ودور السينما وكذلك المسابح والمصطافات ، وضمت البلاد بالخبث ، وعمها الفساد ، وانمسخ المجتمع الإسلامي ، فأصبح غيره بالأمس فى مظهره ومخبره ، وظاهره وباطنه .

ثم جردت جيوش الشيطان ، ونفثت سمومها فى كل مكان ، عبر السينما والتليفزيون والمسارح ، وإذا بنا أمام مخطط إلحادى يجوس خلال ديارنا ، وإذا بالزنا يحميه قانون ، وإذا بالفسقة والفاسقات من أهل «.الفن » تقام لهم الأعياد ، وتضفى عليهم صفات البطولة ، وتهدى لهم الجوائز ليستعينوا بها على إشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا .

لقد كرم الإسلام المرأة كتاباً وسنة ، وحفلت شريعته برفع شأنها وصيانة حقوقها ، لكنها أذلت نفسها لما اتبعت الذين حرضوها ضد فطرتها ودينها ، فسلخوها من دينها ، وأبعدوها عن ربها ، وألقوا بها فى متاهات الحياة لتقاسى شظف العيش ومكاره المحن ، التى ناء بها كاهل الرجل بله المرأة ، لقد حملوها حملاً على أن تصطف فى طابور المنقادين لحضارة الغرب لتدخل جنته المنشودة ، ولكن بعد أن تخلع على أعتابها إيمانها بالله واليوم الآخر .

**ودفعت المرأة الثمن :**

لقد فقدت المرأة التى كان يلوح لها « أنصارها » بسعادة التحرر والتطور — ليس فقط سعادتها — بل فقدت وجودها كله كامرأة ذات قيمة فى المجتمع ووزن فيه ، لقد قبضت فيما مضى على دينها ، فقبض الله عنها السوء ، وبسط لها الحلال ، حتى لم تكد تينع الثمرة فى بيت أبيها إلا وتمتد يد الحلال

لتقطفها ، فلا تفتح عينها إلا على حليلها ، ولكنها وقد ابتذلت وأهينت على يد أصدقائها وأنصارها كان أول من زهد فيها أنصارها المخادعون ، ولم تعد – كما كانت – تتمتع باحترام الآباء والأزواج ، ولم تعد تحاط بهالة التقدير والتعظيم ، وإنما أصبحت فى نظر الجميع أشبه بمحترفة تطلب العيش ، وتقرع كل باب للعمل لعلها تحصل على وظيفة – أياً كانت – تدر عليها دراهم معدودة ، تنفق أكثرها فى المساحيق للتجميل ، وفى الثياب القصيرة للفتنة ولفت الأنظار .

هذا هو المنحدر الفظيع والهاوية السحيقة والمصير الأسود القاتم الذى انتهت إليه المرأة فى كثير من بلاد الإسلام .

**والآن :**

وقد خلعت المرأة حجابها ، وغادرت حصنها ، وعصيت ربها ، فهل جنينا حقاً التقدم والرخاء والحضارة ؟

لقد خالطت الرجال ، واختلط الحابل بالنابل ، فهل زالت العقد النفسية ؟ وهل استقرت دواخلهما ؟ وهل جنينا سوى الثمار المريرة ؟

لقد فتحنا بلادنا أمام حملات الغزو الفكرى اليهودى والصليبى والعلمانى الذى سلط علينا سموم الشبهات وسهام الشهوات التى كان أفتكها المرأة فهل وجدناهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ؟

**التجربة خير شاهد :**

إننا لن نطيل فى وصف الهاوية التى تردت إليها المرأة « المتحررة » بفضل « أنصارها » و« أصدقائها » الكذابين ، لأن الواقع حولنا يكفينا مؤنة هذه الإطالة ، إنه حقاً واقع مرير مرير ، تستطيع أن تدرك عواقبه وآثاره حيثما وقعت عينك ، فى كل بيت ، فى كل طريق ، فى كل وظيفة .

وربما إذا كنا نتكلم من خلال خيال حالم أو حتى منذ قرن واحد مضى لاتهمنا بالتحامل والتزيد والمبالغة .. .

ولكنه واقع أليم ، خير من ينبئك عنه :
هذه المرأة الضحية ..
وهؤلاء « الأنصارَ » و« الأصدقاء » ..
إن صدقوا !

# السياسة فى المعركة

## معركة سلاحها الأقلام :

رأينا – فيما سبق – كيف تحولت قضية ( تحرير ) المرأة المسلمة إلى حملة ( سفور ) مسعورة ضد الحجاب ، وكيف أخذت كلمة ( تحرير ) مدلول ( السفور ) برغم أن التحرير فى الإسلام يأخذ مدلول الحجاب ، فكانت المحجبة هى « الحرة » ، والسافرة – أى التى تكشف وجهها – هى « الأَمَة » ، فكان السفور عنوان العبودية، أما فى ظل دعاة التحرير فإن الحجاب عندهم هو عنوان العبودية .

وتابعنا فيما مضى بعض فصول المعركة الفكرية التى انتصر فيها ( السفور ) على ( الحجاب ) وكانت ساحة هذه المعركة فى الغالب صفحات الصحافة ، ثم الكتب والمطبوعات ، وقاعات الجامعة ، وسائر وسائل الإعلام .. .

وقد كانت هذه الوسائل فى أيدى دعاة السفور، ومن ثم لمن تكن المعركة متكافئة ولم تكن الحرب عادلة ، خاصة إذا انضم إلى ذلك ادعاء السفوريين أن السفور جاء نتيجة طبيعية للتطور الحضارى المرتقب ، وأن السفور هو اختيار المرأة ذاتها ، ورغبتها الفعلية الحرة من أجل خلاصها من العبودية .

بل لم يبخل السفوريون بأن يخدعوا أنفسهم أو يخادعوا الإسلاميين بقواعد شرعية صحيحة يحرفونها عن مواضعها ويستدلون بها لتبرير باطلهم .

وتطوع علماء السوء بالتزلف – تحت ضغطها « سيف المعز » و « ذهب المعز » وراحوا ينتزعون من النصوص الشرعية ما يمكن أن يبرر للحكام مخالفتهم للشرع ، هؤلاء الحكام الذين راحوا يتشدقون بأن ( الدين فى نظرهم ثقافة ليس إلا ) وأن ( لا دين فى السياسة ، ولا سياسة فى الدين ) ، هم أنفسهم رحبوا بالدين طالما صلى لهم « رجال الدين » « صلاة الاستسقاء » إذا عطشوا ، و« صلاة النصر » إذا انتصروا ، و« صلاة الحاجة » إذا مرضوا ، ثم « صلاة الجنازة » إذا ماتوا .

**معركة سلاحها البطش :**

إذا كانت دعوة « تحرير المرأة » أساساً دعوة استعمارية أسَّسها الاستعمار ، وربى دعاتها على موائده ، ومكن تلاميذه من نشرها .

وإذا كان هؤلاء السفوريون سلكوا تلك الأساليب الملتوية فى عرض دعوتهم لتزييف الحقيقة والصد عن سبيل الله .

وإذا كانت أعراض التآمر واضحة فى كل خطوة من خطوات حركة تحرير المرأة .. فهل يمكن بعد ذلك أن يزعم زاعم أن المعركة التى انتصر فيها السفور على الحجاب فى بلاد المسلمين كانت معركة شريفة حقاً انتصر فيها ( السفور ) لأنه التطور الحضارى المرتقب كما يزعمون ، ولأنه الرغبة الفعلية للمرأة واختيارها الحر من أجل خلاصها ؟

وإذا كانت فصول المعركة الفكرية بعد أن انتهت بهذا الانتصار الكاذب قد تحولت إلى معركة حقيقية تفرضها سياسة جائرة تحكم أمة مستضعفة مقهورة ، وجنود مسلحون أمام نساء عزل ، وقوانين إرهابية ، وإجراءات تعسفية ، ومشانق تعلق ، وسجون تعمَّر ، ونيران تضرم ، فهل يمكن بعد هذا كله القول بأنها معركة شريفة انتصر فيها السفور على الحجاب طبقاً للاختيار الحر للمرأة ، وأنها ثمرة من ثمرات « الديمقراطية » المزعومة ، أو « الحرية » الأسيرة أو « التقدم » الرجعى الذى يعيدنا إلى الجاهلية الأولى ؟

والآن - وقبل أن نستأنف عرض تفاصيل المعركة المسلحة ضد الحجاب - دعونا نطالع أولاً هذه السطور المضيئة للإمام المحقق ابن قيِّم الجوزية وهو يعدد واجبات أولى الأمر :

**مسئولية الحاكم المسلم :**

قال رحمه الله(١) : (ومن ذلك : أن ولى الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء فى الأسواق والفرج ومجامع الرجال .

قال مالك رحمه الله ورضى عنه : « أرى للإمام أن يتقدم إلى الصناع فى قعود النساء إليهم ، وأرى أن لا يترك المرأة الشابة تجلس إلى الصناع ، فأما المرأة المتجالة ، والخادم الدون التى لا تتهم على القعود ، ولا يتهم من تقعد عنده : فإنى لا أرى بذلك بأساً » انتهى .

فالإمام مسئول عن ذلك ، والفتنة به عظيمة ، قال ﷺ : « **ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء** »(٢) وفى حديث آخر أنه قال للنساء : « **لكُنَّ حافات الطريق** »(٣)، ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات متجملات ، ومنعهن من الثياب التى يكن بها كاسيات عاريات ، كالثياب الواسعة والرقاق ، ومنعهن من حديث الرجال فى الطرقات ، ومنع الرجال من ذلك .

وإن رأى ولى الأمر أن يفسد على المرأة – إذا تجملت وتزينت وخرجت – ثيابها بحبر ونحوه ، فقد رخص فى ذلك بعض الفقهاء وأصاب ، وهذا من أدنى عقوبتهن المالية . وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها – ولا سيما إذا خرجت متجملة ، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية ، والله سائل ولى الأمر عن ذلك ، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه النساء من المشى فى طريق الرجال ، والاختلاط بهن فى الطريق(٤) ، فعلى ولى الأمر أن يقتدى به فى ذلك .

---

(١) الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أسامة .

(٣) أخرجه أبو داود عن أبى أسيد الأنصارى بلفظ : ( ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكن بحافات الطريق ) وفى سنده مجهول لكن له شاهد حسن من حديث أبى هريرة بلفظ : ( ليس للنساء وسط الطريق ) رواه ابن حبان وغيره ، فيتقوى به ( صحيح الجامع ٥ / ٩٨ ) ، وتحقيق « شرح السنة » ( ١٢ / ٣٢٢ ) .

(٤) وقد روى أنه رضى الله عنه رأى رجلاً وامرأة يتكلمان فى الطريق – وقد تكون زوجته أو من محارمه – فعلاهما بالدرة ، وقال : ( ما وجدتما مكاناً غير هذا تتكلمان فيه ؟ ) فأين أنت يا عمر وأين درتك ؟ ما أحوجنا إليكما الآن ! .

وقال الخلال فى جامعه : أخبرنى محمد بن يحيى الكحال أنه قال لأبى عبد الله : أرى الرجل السوء مع المرأة ؟ قال : صحْ به ، وقد أخبر النبى ﷺ : « **أن المرأة إذا تطيبت ، وخرجت من بيتها فهى زانية** »[1] .

ويمنع المرأة إذا أصابت بخوراً أن تشهد عشاء الآخرة فى المسجد[2] ، فقد قال النبى ﷺ : « **المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان** »[3] .

ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصلُ كل بلية وشر ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة ، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة ، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا ، وهو من أسباب الموت العام ، والطواعين المتصلة ) ا هـ .

فهذه نبذة يسيرة مما ينبغى أن يكون عليه الحاكم المسلم ، وأن سلطته — بقوة الشرع الذى يجعل طاعته جزءاً من الدين — تمتد إلى هذه الحدود الواسعة ردعاً للفسقة ومشيعى الفاحشة ، ومراعاةً لقوله ﷺ : « **كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع وهو مسئول عن رعيته** » الحديث[4] .

قال الله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها** ﴾ الآية .

وهذا ما جرى من « أكابر مجرمى » قرانا حيث تمكن منها تلامذة الاستعمار الأمناء على عهده ، الحافظون لمآربه ، وهم قوم صغار النفوس لا يقف استهتارهم وعنادهم للشرع عند حد ، والأمة إذا أسندت أمرها إلى صغار النفوس

---

(١) أخرجه النسائى وأبو داود والترمذى والحاكم والإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من حديث أبى موسى الأشعرى بلفظ : ( أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهى زانية ) وقال الترمذى : حسن صحيح ، والحاكم : ( صحيح الإسناد ) ، ووافقه الذهبى .

(٢) لحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله ﷺ : ( أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة ) أخرجه مسلم وأبو عوانة فى صحيحيهما ، وأصحاب السنن ، وغيرهم .

(٣) رواه البزار والترمذى والطبرانى فى الكبير ، وصححه الألبانى ( إرواء الغليل ١ / ٣٠٣ ) رقم (٢٧٣) .

(٤) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما .

كبرت رذائلهم لا نفوسهم، وإذا حكم الفاسق فقد حكم الفسق .

**وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجامع**
**وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع**

وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات[1] مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » .

قال الأستاذ محمد أديب كلكل[2] مشيراً إلى فوائد هذا الحديث : ( وفيه ربط بين الاستبداد السياسى « قوم معهم سياط » والانحلال الخلقى « ونساء كاسيات عاريات » ، وهذا ما يصدقه الواقع ، فإن المستبدين من الطغاة والمتسلطين من الفراعنة يشغلون الشعوب عادة بما يقوى الشهوات ، ويزينها ، ويلهى الناس بالمتاع الشخصى عن مراقبة القضايا العامة ، لكى يبقوا سادرين فى غفلاتهم ، غارقين فى شهواتهم ، لا يهتمون بطغيان ، ولا يسألون عن انحراف ، ولا يقاومون ظلماً ولا عدواناً ) ا هـ بمعناه. أجل، لقد تطرف هؤلاء « الأكابر » فى انجذابهم إلى طريق الشيطان حتى خرجوا من الدائرة بالكلية ، وصاروا هم فى الحقيقة الرجعيين المتطرفين الداعين إلى الرجعية الجاهلية المظلمة قبل بزوغ فجر الإسلام .

ومن عجيب أمرهم أنه إذا أنكر عليهم منكر هذا التطرف فى حرب الإسلام احتجوا بأن هذه أمور تخضع للحرية الشخصية ، وأنه لابد من التزام مبدأ حرية الرأى والسلوك ، أفلا يحتجون بحرية الرأى والسلوك فى حق من يكفر بنظمهم « الأساسية » ويطعن فى مناهجهم العلمانية ؟ أم أنهم يغارون على

---

(١) قال الشيخ إسماعيل حقى فى تفسير قوله ( مميلات ) : ( أى قلوبَ الرجال إلى الفساد بهن ، أو مميلات أكتافهن وأكفالهن كما تفعل الراقصات ، أو مميلات مقانعهن عن رؤوسهن لتظهر وجوههن ) ا هـ من ( روح البيان ) ( ٧ / ١٧٠ ) – وانظر هامش المجموع للنووى ( ٤ /٣٠٧ ) .

(٢) فى كتابه حكم النظر فى الإسلام ) ص ١٣٤ .

دنياهم ، ويستكثرون منا أن نغار على ديننا ؟

**يقاد للسجن من سب الزعيم ومن  سَبَّ الإله فإن الناس أحرارُ**

**عود على بدء :**

والآن نعرض فصولاً من المعركة التى دارت بين الحجاب والسفور فى بعض البقاع الإسلامية ، وقد تحولت من معركة فكرية سلاحها القلم والتضليل إلى معركة حقيقية سلاحها البطش والإرهاب والتنكيل .

**١ - فى تركيا :**

( شرع أتاتورك - عليه من الله ما يستحقه - قانونه لنزع حجاب المرأة المسلمة ، وراقب تنفيذه ، وعاقب مخالفيه ، وشنق معارضيه )[١] ، ( وقام عام ١٩٢٥ بإجبار تركيا بأكملها - وليس المرأة فقط - على هجر الإسلام كلية حتى الحرف الذى تكتب به اللغة التركية متشابها مع لغة القرآن ، أما نزع حجاب المرأة التركية فقد تم بالإرهاب والإهانة فى الطرقات حين كان البوليس يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة )[٢] وهكذا كان نزع الحجاب خطوة ضمن خطة علمانية شاملة لإزالة كل أثر للإسلام فى تركيا مركز الخلافة العثمانية[٣] ، ويصور الأستاذ أحمد حسن الزيات بعض ملامح هذه الخطة فيقول : ( وألزموا التركى المسلم بلبس القبعة ، وأرغموه أن يكتب من الشمال ، وفصلوا الدين عن الدولة ، وانتزعوا العربية من التركية ، وألغوا العيدين ، واستبدلوا بعيد

---

(١) ( المرأة المسلمة ) لوهبى غاوجى الألبانى ص (١٨٩) .

(٢) ( فى مسألة السفور والحجاب ) لصافى ناز محمد كاظم ص (٩) .

(٣) ومن الجدير بالذكر أن زوجة أتاتورك رفضت الاستجابة لطلب زوجها حينما راودها على كشف وجهها ورأسها ، وأمرها بالتخلى عن الحجاب ، وأصرت على لزوم الحجاب ، حتى كان هذا الأمر أحد أسباب طلبها الطلاق منه ، وطلقها وأعلن أن سبب طلاقها إصرارها على الحجاب .

الجمعة عيد الأحد ، وعطلوا الصلاة بمسجد أيا صوفيا ، وأسكتوا المؤذنين ، وأبعدوا المصلين فلا يمرون عليه إلا باكين مستعبرين ، وحولوه إلى متحف وبيت للأوثان ، وطمست منه آيات القرآن ، وأظهرت فيه الصور والأوثان – وكأن أتاتورك وأشياعه قد نقلوا أمتهم المروعة المشدوهة على المدرعات إلى الشاطىء الأوربى ، ثم أحرقوا من ورائها سفائن طارق )[1] .

وهذه صحيفة « السياسة الأسبوعية »[2] تكتب مقالاً عن ( فتاة تركيا ١٩٢٦ ) تصف فيه باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية معرضاً عاماً ، فى رحلة على نفقة الحكومة ، تنتقل فيها بين موانىء أوربا الشهيرة ، فتقول إن هذه الباخرة كانت تقل ( خمساً وعشرين فتاة من فتيات تركيا الجديدة ، كلهن جميلات مقصوصات الشعور ، لا يكاد يميزهن الرائى من فتيات لندن وباريس ) ويقول المراسل إن أكثر الفتيات يتكلمن الإنجليزية بإتقان يدعو إلى الدهشة ، وإن بعضهن قد تلقى العلم فى الكلية الأمريكية فى القسطنطينية ، ويروى بعض ما صرحت به الفتيات ، من مثل قول إحداهن فى بعض الموانى الإنجليزية : ( إن المرأة التركية اليوم حرة ، فلن تسير إلى الطرقات فى ظلام ، وإننا نعيش اليوم مثل نسائكم الإنجليزيات ، نلبس أحدث الأزياء الأوربية والأمريكية ، ونرقص وندخن ونسافر وننتقل بغير أزواجنا ) ومن مثل تصريح أخرى بأن ( معيشتهن على ظهر الباخرة معيشة سرور وصفاء لا يوصف ، فكلهن يرقص ، وبعد العشاء يبدأ الرقص من « تانجو » و « فوكس تروت » وقد تعلمت ذلك فى المدرسة ) ويعلق مراسل الصحيفة على ذلك الوصف بقوله : ( إن هذا من أظهر الآثار التى تدل على تقدم المرأة التركية ومجاراتها لأختها الغربية فى ميدان العمل والجهاد الفكرى والاقتصادى ، ولا يسع كل محب لتركيا إلا أن يغبطها على هذه الخطوات ) اهـ .

وهذه هى صحيفة (المقتطف) تكتب مقالاً عن ( الأحوال فى تركيا

---

(١) مستفاد من ( الرسالة ) العدد ٨٨ السنة الثالثة ٦ ذى الحجة ١٣٥٣ هـ ، ١١ مارس ١٩٣٥ م

(٢) السياسة الأسبوعية عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦ .

المعاصرة )[1] ، تشيد فيه بمصطفى كمال أتاتورك ، وتقرنه بواشنجتن ، زاعمة أنه أكبر زعيم معاصر ، وهى تثنى على صنيعه فى فصل الدولة عن الدين ، واعتباره الدين ( أمراً شخصياً بين المرء وخالقه) ، ثم تشيد الصحيفة بالتطور الاجتماعى الذى طرأ على تركيا بسفور النساء واشتراكهن فى المجتمعات مع الرجال ، ومشاركتهن الشبان فى الدراسات الجامعية ، وإنشاء صحيفة تدافع عن حقوقهن ، ويشير الكاتب بإعجاب إلى ما أنشىء من الدور المختلطة التى تضم الشباب من الجنسين ليمارسوا الرياضة ، ويرى الكاتب بلهجة الاستحسان ( طلب بعض النابغات منهن أن يسمح لهن بإلقاء خطب فى الجوامع كل أسبوع ، فى تدبير المنزل وما أشبهه من الموضوعات )ا هـ .

**٢ – فى إيران[2] :**

فى عام ١٩٢٦ عندما نصب الإنجليز الكولونيل رضا بهلوى شاه إيران مؤسساً للأسرة البهلوية ألغى من فوره الحجاب الشرعى ، وكانت زوجته أول من كشفت عن رأسها فى احتفال رسمى ، ثم أصدر أوامره إلى الشرطة بمضايقة النساء اللواتى رفضن الاقتداء بملكتهن وخرجن محجبات ، فما كانت امرأة تخرج من بيتها محجبة إلا وعادت إليه سافرة ، فقد كانت الشرطة تنزع حجابها غصباً ، وتستولى على عباءتها ، وتهين صاحبتها ما استطاعت إلى الإهانة سبيلاً ، وحظر على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب ودخول مدارسهن به ، ومنع أى ضابط من ضباط الجيش من الظهور فى الأماكن العامة أو فى الشوارع برفقة امرأة محجبة مهما كانت صلتها وقرابتها به ، وقد كان رضا خان صديقاً حميماً لكمال أتاتورك ، وكان يحرص دوماً على تقليده ، واقتفاء خطاه ، وبالفعل كان رضا بهلوى فى حربه للإسلام صورة طبق الأصل عن أتاتورك .

---

(١) المقتطف عدد أبريل ( نيسان ) ١٩٢٦ ( ص ٤١٠ – ٤١٣ ) .

(٢) انظر ( وجاء دور المجوس ) للدكتور محمد عبد الله الغريب ص (٩١ – ٩٢) . ( فى مسألة السفور والحجاب ) لصافى ناز كاظم ص (٩)

وعندما سئل ذلك الشاه عن سبب ضغطه على النسوة فى نزع الحجاب ، مع أن عجلة التاريخ قد تضمن له تحقيق أهدافه أجاب : ( لقد نفد صبرى ، إلى متى أرى بلادى وقد ملئت بالغربان السود ؟! ) ا هـ .

**٣ - وفى أفغانستان :**

( تولت السلطة نزع حجاب المرأة بقانون ، وذلك فى عهد « محمد أمان » .

**٤ - فى ألبانيا :**

حارب « أحمد زوغو » الحجاب بقانون ، ثم عادت المرأة المسلمة الألبانية إلى الحجاب أيام الحرب العالمية الثانية ، ثم عاد « أنور خوجا » مرة ثانية وشن حرباً شعواء على الحجاب فى ألبانيا .

٥ - ثم حاربت روسيا الحجاب فى **تركستان والقوقاز والتشن والقرم** ، وسائر ما تحتل من بلاد المسلمين ، وهم يبلغون ستين مليوناً .

٦ - وكذلك فعل « تيتو » فى **يوغوسلافيا**[1] .

**٧ - وفى تونس :**

( نادى « بورقيبة » بتخليص المرأة من قيود الدين ، وجعلها رسولاً لمبادئه العلمانية )[2] .

---

(١) ( المرأة المسلمة ) لوهبى الألبانى ص (١٨٩ - ١٩٠) .
(٢) ( المرأة ومكانتها فى الإسلام ) لأحمد عبد العزيز الحصين ص (٢٢٥) .

### ٨ - فى الصومال :

( شددت حكومة « سياد برى » حملتها ضد الإسلام فى الصومال ، وقد طردت مؤخراً كل طالبة ترتدى الزى الشرعى الإسلامى من المدارس ، كما ألغت تفسير القرآن الكريم من المناهج ، وتقوم بطرد الطلاب الذين يقبض عليهم وهم يؤدون الصلاة أو يقرؤون القرآن الكريم من المدارس )[1] .

---

(١) السابق ص (٦٢) .

## فى مصر

وضع عبد الناصر وزبانيته كتاب ( الميثاق ) متأسياً فى ذلك بإمامه الأول جنكيز خان حيث وضع الأخير كتابه « الياسق »[1] ليصد به الناس عن القرآن ، وكان مما جاء بصدد قضية المرأة فى « الميثاق » : ( المرأة تتساوى بالرجل ، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها الحرة لتستطيع أن تشارك الرجل بعمل وإيجابية فى الحياة ) اهـ وبوحى من هذه الفلسفة العلمانية المادية اتخذت إجراءات وخطوات حاسمة فى هذا الصدد ، وصدرت قوانين تقضى :

- بفرض ثلاثين نائبة على الأقل فى مجلس الشعب .
- بفرض خمسة وعشرين بالمئة من النساء على الأقل فى عضوية جميع المجالس الشعبية والمحلية .
- بجعل الانتخاب والتصويت إجبارياً على كل أنثى تبلغ الثامنة عشرة من عمرها ، مع كونهما ليسا إجباريين على الرجل .
- وأخيراً صدر قانون تعديل أحكام قوانين الأحوال الشخصية الذى خططوا له طويلاً ، وتحقق أمل « مرقص فهمى » ، و « قاسم أمين » .

## تكلف .. واصطناع :

ومن يتأمل حال القوم يدرك أن اعتراضاتهم على الشرائع الإسلامية تأتى لمجرد الاعتراض ، وهذه المطالب التى تلهث المتحررات وراءها لمجرد إسماع الناس أصواتهن ، وهذه المنازعات الوهمية بين الرجل والمرأة ، كل هذه مشاكل

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ( ٣ / ١٢٣ ) طبعة دار الشعب .

مصطنعة ، وأزمات مختلقة فهم يخالفون لمجرد المخالفة ، لا لحاجة أوجبت هذا الاختلاف ، والمرأة لا توضع حيث تدعو الحاجة - صحيحة كانت أو مزعومة - إلى أن توضع ، ولكنها توضع لمجرد إثبات وجودها فى كل مكان ، ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتهاله ، فليس المقصود بتوظيفها مثلاً فى هذه الأيام سد حاجة موجودة، ولكن المقصود هو مخالفة عرف راسخ ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة ، وإقامة عرف جديد فى الدين، وفى الأخلاق ، وفى الذوق ، وابتداع المبررات التى تجعل انسلاخنا من ديننا أمراً واقعاً ، وتجعل دخولنا فى دين الغرب ومذاهبه وفسقه أمراً واقعاً كذلك .

وقصة « دعاة التحرير » هنا فى مصر وغيرها تشبه (قصة ذلك الرجل الذى قدم إلى أبرز ساحة فى العاصمة ، فملأ وسطها بالأنقاض ، ثم جاء بسارية رفع عليها مصباحاً أحمر .

وجعل الناس ينظرون بدهشة إلى عمله .. وسأله بعضهم :

ماذا تريد بهذا المصباح ؟ فأجاب : تنبيه الناس إلى الخطر لكى لا يصطدموا بالأنقاض، فلما سألوه : ولم جئت بهذه الأنقاض ؟ أجاب : لكى أرفع هذا المصباح )(١) .

وإذا أردنا أن نشرح دور السياسة فى معركة الحجاب فى مصر ، فلا شك يقفز إلى أذهاننا الدور الذى لعبه « صديق إسرائيل »(٢) و « خادم أمريكا » و « حليف الشيطان » الذى تهكم بالحجاب علناً ووصفه بأنه « **خيمة** » ، وجرائم هذا المخلوق فى حق الإسلام وفى حق وطنه كثيرة لا تكاد تخفى على أحد ، وقد ختم حياته « النضالية » ضد أمة محمد ﷺ بتلك الإجراءات التعسفية، والحرب المسعورة ضد المحجبات عموماً ،والمنقبات خصوصاً ، فكان رجاله يتعرضون للمنقبات فى الطرقات ، وكانت صحفه ناراً تصب حميمها على

(١) تأملات فى المرأة والمجتمع - لمحمد المجذوب - ص٣٣ - ٣٤ .

(٢) وقد أقيمت الصلوات اليهودية فى ميادين تل أبيب على ضوء الشموع حزناً على موته ، وحضر ثلاثة من رؤساء أمريكا قداسا جنائزياً بالكنيسة على روحه .. لقد كان مصراً على أن يدخل التاريخ وقد دخله ... ولكن من نفس الباب الذى دخل منه إبليس وفرعون وقارون ، ومضى إلى ربه بعد أن صمى كل عداواته إلا عداوته لأمته .

المنقبات ، وفرض عليهن الخيار بين السفور وبين الفصل من وظائفهن ، ولم تنج حتى النساء من حملة الاعتقالات الواسعة التى عمت البلاد ، واصطف جنود الشرطة البواسل صامدين رابضين كالأسود على بوابات الجامعة ودور التعليم ، للتصدى لأى طالبة منقبة تسول لها نفسها دخول الجامعة بهذا النقاب وذلك الجلباب السابغ الذى وصفه بأنه « خيمة » : فرعونٌ حقيرٌ يرقد الآن فى مزبلة التاريخ ، وحسابه على الله .

بل هذه زوجة هذا الفرعون تدلى قبل أن تدور عليها دائرة السوء وهى فى قمة غرورها – ولا أقول مجدها – بحديث إلى مجلة « مارى كلير » الفرنسية المتخصصة فى شئون المرأة حول ما يتعلق بالمرأة الشرقية من عرف وتقاليد متوارثة كالحجاب وختان الفتيات وجريمة الزنى ، وذلك خلال أربعة أسئلة وجهتها الصحافية الفرنسية « كاتى برين » التى زارت مصر أخيراً لإجراء هذا الحوار وكان السؤال الأول :

[ انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات فى مصر ، فما رأى السيدة ... فى تلك الظاهرة ؟

وأجابت : (إننى ضد الحجاب ، لأن البنات المحجبات يخفن الأطفال بمنظرهن الشاذ ، وقد قررت « بصفتى مدرسة بالجامعة » أن أطرد أى طالبة محجبة فى محاضرتى ، فسوف آخذها من يدها ، وأقول لها : « مكانك الخارج » ،

وفى نظرى فإن المسؤولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات ، فهم سبب فى انتشار هذه الظاهرة ، فإذا قام أستاذ بطرد فتاة واحدة من محاضراته مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب .

وتستطرد قائلة : إن التحجب ليس بالشكل وبارتداء الأقنعة ، فالإسلام لم يدع إلى ارتداء الحجاب ، إنما تلك مسائل تفصيلية بعيدة عن جوهر الإسلام وعن مبادئه الأساسية ثم تذكر فى نهاية الحوار أنها تعمل ليل نهار حتى تحقق للمرأة المصرية بعض حقوقها ، وأن أبرز ما أنجزته هو صدور قانون الأحوال الشخصية الجديد ، ثم ذكرت أنها دائماً « تعاكس » زوجها فى طلباتها للمرأة ، ولكنه يجيب

بقوله : « إن هذه ليست هى اللحظة المناسبة » ، تقول : « ولكننى أعاود ، وألح عليه فى طلباتى من أجل المرأة » ][1] .

ويتضح من هذا الحديث أن ظاهرة « عودة الحجاب » كانت قد أخذت فى الانتشار السريع ،وكادت تفرض نفسها كواقع يكشف الحقيقة للمخدوعين والمخادعين على السواء ، لولا أن « الأكابر » بدأوا يبيتون « وأد » هذه « العودة » قبل أن يفلت الزمام ، فبدأت الدوائر السياسية والصحافية تمهد للحملة المجنونة التى توجتها السلطة بمذبحة سبتمبر ١٩٨١ م، ومن هذه الإرهاصات المقالة التالية :

**« الغزالى حرب » وحربه ضد الحجاب :**

الغزالى حرب مفتش أول اللغة العربية بشمال القاهرة إنسان أقلقه كثيراً مظهر الحجاب الإسلامى وشيوعه وسط الفتيات يوماً بعد يوم فشهر قلمه ليدلى بدلوه مع إخوانه من دعاة السفور فنشر فى الأهرام أكثر من مقال يهاجم فيه الحجاب ويحرض فيه « الأكابر » على تشريع جديد يصفه بأنه ( قرار حاسم يحقق التوازن والاعتدال فى أزياء الطالبات والمدرسات بين التفريط والإفراط ، وبين الانغلاق والانضباط ) .

**ويفتتح إحدى مقالاته بقوله : ( منذ بضعة أيام اتصل بى تليفونياً الشيخ الدكتور / عبد المنعم النمر ليحدثنى عن بعض الطالبات فى إحدى المدارس الأجنبية الثانوية ، ممن يحرصن على ارتداء ما يسمينه « الزى الإسلامى » أو « الزى الشرعى » ، وقد اتفقنا فى هذا الحوار التليفونى على أن تغطية الوجه بالنقاب ، أو البرقع للطالبات ، تطرف لا يقره الشرع الإسلامى ،ولا ترتاح إليه اللوائح والتعليمات المدرسية أو الجامعية ، وما هو إلا شذوذ مظهرى مريب ) ثم يقول : ( فهذا الزى المبرقع أو المنقب ليس إلا زياً من صميم الأزياء**

---

(١) ملحق جريدة ( القبس ) العدد ٢٦٢٥ تاريخ الاثنين ٦ تشرين الأول أكتوبر .

**الجاهلية البائدة ، التى عفى عليها الزمان ، ولم يعد لها اليوم مكان . فى بعض البلاد ، المتخلفة أو النامية ، ولن يبقى فيها طويلاً أمام التطور الوثاب ، الذى يؤكد ما قاله داعية تحرير المرأة الأول فى مصر والشرق العربى «قاسم أمين» من أن هذا الزى الشاذ يمثل دوراً من الأدوار التاريخية لحياة المرأة فى العالم ، ومن العبث الذى لا طائل من ورائه أن تتشبث بعض المدرسات أو الطالبات متمسحات فى ذلك بالإسلام الذى يدعو المرأة – ولا شك – إلى الاحتشام المنضبط الذى يقره العرف القويم والذوق السليم لا إلى الاحتشام « المنغلق » المثير للشبهات ، ولا سيما شبهة محاولة « إخفاء الشخصية[1] » ) ثم يستطرد قائلاً : ( ما أروع الحديث النبوى الشريف القائل « .... ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ** ( طلب البراءة والسلامة ) **لدينه وعرضه »** وخاصة فى ظروفنا الحاضرة التى تمس فيها الحاجة دائما إلى التحقق من شخصية كل طالب وطالبة ، حرصاً على استتباب الأمن والنظام ، وسيادة الأمن العام ، وحرام – والله – أن نضيع مثقال ذرة من الوقت الغالى الثمين فى شغل الناس بلابسات البراقع والجدل حولهن باسم الإسلام ، الذى يقول بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام : **« ما غضب الله على قوم إلا ابتلاهم بالجدل وصرفهم عن العمل »**[2] .. حرام والله – أن تشغلنا هذه « الظاهرة المرضية » عن النصح لكريماتنا وأخواتنا المنتقبات ، أن يكن فى أزيائهن منضبطات متفتحات ، لا منغلقات أو مبرقعات ، وأن يذكرن – والذكرى تنفع المؤمنين والمؤمنات – أنه عندما نهض قاسم أمين بدعوته المتحررة التى باركها باسم الإسلام أستاذنا الإمام محمد عبده ، حاربه الجامدون والمتنطعون داعين النساء إلى ارتداء النقاب والبرقع اتقاءً للفتنة ، فانتهزت

---

(١) يأتى دفع هذه الشبهة الإبليسية إن شاء الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ﴾ الآية .

(٢) روى الترمذى وابن ماجه والإمام أحمد فى مسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما ضل قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ » وقال الترمذى : ( حسن صحيح ) ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ( جامع الأصول ٢ / ٧٤٩ ) والجدال والمراء : المخاصمة والمحاجَّة ، وطلب المغالبة ، ولا شك أن الحديث يتناول الكاتب نفسه وهو حجة عليه ، لعدوانه على أهل الحق ومجادلته إياهم بالباطل كما سترى ، فالله المستعان .

ملاهى أوروبا هذه الفرصة ، وأخذت تعرض رقصة أسمتها « رقصة برقع الإسلام » وهكذا التقى جد الرجعيين ، وهزل العابثين فى اتهام الإسلام بأنه دين البراقع ) .

ثم يذكر معنى الحجاب فى الإسلام فى نظره فيقول : ( وما هو إلا دين الاحتشام المعتدل المشرق بأنوار العفة والفضيلة والحياء ، وفى ضوئها وهداها التقى الجنسان على سواء معتصمين بحجاب الوازع الخلقى والضمير الحى ) إلى أن يبتهل داعياً المولى عز وجل فى نهاية مقاله قائلاً : ( واللهم أبعد عن مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا وطرقاتنا وسائر مجالاتنا شبح الجمود والممات ، وشبح الظواهر المرضية المثيرة للفتن والخلافات والانقسامات )[1] انتهى .

ولا يقل عنه تحاملاً الصحافية (منى رمضان) التى كتبت مقالاً فى مجلة « أكتوبر » تحت عنوان « طيبات ولكن محجبات » تبدؤها بقولها : ( عاد الحجاب مرة أخرى كظاهرة على وجوه الفتيات والسيدات فى مصر وهذه ليست آخر صيحة فى عالم الموضة كما قد يتبادر إلى الذهن ، ولكنه نوع من الحشمة وإحياء التقاليد الإسلامية التى تطلب من النساء أن « يدنين عليهن من جلابيبهن » ) ، وتحت صورة التقطت لمحجبتين تكتب قائلة : ( النقاب الذى ترتديه فتاة الجامعة يقربها إلى الرهبانية ، ولا رهبنة فى الإسلام ) لكنها حرصت على أن تنشر ثلاث صور إحداها على غلاف المجلة لفتاتين سافرتين ترتديان « الحجاب العصرى » الضيق المزيِّن ، والثانية لثلاث فتيات سافرات ولكن فى عرفهن « محجبات » يرتدين ثياباً لا يقرهن عليها مسلم عالم ، وقد علقت مسرورة بثيابهن قائلة : ( الحشمة الغير مبالغ فيها مطلوبة داخل الجامعات المصرية بدلاً من التقليعات الدخيلة علينا ) ، والثالثة لفتاة متزينة بالحجاب العصرى الفتان وقد علقت الصحافية تحتها : ( هكذا تكون الفتاة الجامعية : علم وإيمان ) .

تقول الكاتبة الحائرة القلقة : ( والحشمة هنا نابعة من داخل المرأة ، وعلى

---

(١) الأهرام الاثنين ٢ فبراير ١٩٨١ م مقالة بعنوان : ( أزياء الطالبات بين الانضباط والانغلاق ) .

أساسها فصلت هذه الثياب ، وفضلت أن تخرج بها إلى الشارع وإلى الجامعة .. وقد تكون هذه الظاهرة عودة إلى « عصر الحريم »[1] لا ينقصها إلا « قاسم أمين » جديد ليطلق صرخته مرة أخرى ... وربما تكون نوعاً من الموضة تأخذ مداها ثم تتلاشى بعد فترة طالت أو قصرت ، وقد تكون حنيناً إلى العودة إلى رحاب الروحانيات بعد أن طغى سلطان المادة على نواح كثيرة فى حياتنا ، إلى آخر هذه التساؤلات التى تتبادر إلى أذهاننا جميعاً ) ثم تعبر عن حسرتها وقلقها قائلة : ( إن هذه الظاهرة انتشرت وبصورة أكثر وأوسع داخل كليات الطب فى الجامعات الثلاث ) .

ثم تنقل الكاتبة فى حوارها كلمة «د / يوسف عبد الرحمن» رئيس قسم الفسيولوجيا بطب القاهرة : ( باعتبارى رجلاً مسلماً أفضل الزى الإسلامى فهو « مستحب » لأنه حشمة ويخفى عورة المرأة ، وهذا الزى كما أعرف لا يعوق المرأة عن العمل ، أما النقاب الذى ظهر حالياً فهو غير مستحب ،ولا أفضله أبداً فهو يقترب بالمرأة من الرهبانية ،ولا رهبانية فى الإسلام ) ثم يقول : ( وما دامت المرأة قد خرجت إلى الشارع والعمل فلابد أن يتعرف عليها المدرس ،وكمسارى الأتوبيس،وكل من يتعامل معها ، أما النقاب فهذا غريب وغير عملى فى هذا العصر ، وأنا أعلم أن النقاب كان موجوداً فى العصور المظلمة فقط ) انتهى كلامه .

---

(١) الصحافية هنا تنسج على منوال إخوانها فى الضلال حيث أخذوا يسخرون ويتفكهون بعصر «الحريم»، ثم ربطوا الدعوة إلى الحجاب بعصر الحريم تنفيراً منه تماماً كما يربط العلمانيون الملاحدة الدين بالرجعية ، ولكن ما هو ( الحريم ) ؟ جاء فى مجلة (الأسبوع العربى) اللبنانية العدد ١٤١٥٣ أيار : ( كانت كلمة « حريم » تعنى منذ الأزمان البعيدة الحرم المقدس أو المعبد المحرم الدخول إليه ، وقد أطلق هذا الاسم على القسم الخاص بالعائلة أى بالنساء والأطفال ، والذى كان محرماً على الغرباء ولوجه ، بينما سمح لهم بالدخول إلى باقى أقسام المنزل ، ولم يكن النساء ليبرحن « الحريم » إلا لزيارة صديقاتهن أو لحضور الاحتفالات العائلية أو الدينية ، فقد كان للنساء إذَن عالمهن الخاص المقتصر عليهن فقط ، إذ حرم عليهن تماماً الاختلاط بالرجال أو استقبالهم أو التحدث إليهم )ا هـ ، وجاء فى جريدة الأخبار على لسان باحثة أمريكية مشهورة تدعى الدكتورة ( إيدالين ) ما نصه : ( إن تدهور الأخلاق فى أمريكا راجع إلى ترك المرأة بيتها واشتغالها بالحياة العامة ، وإن عودة المرأة إلى « نظام الحريم » هى الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الخلقى الذى يسير فيه ) ا هـ ( الحركات النسائية فى الشرق ) ص (٣٥)

# « حقاً .. إنها معركة »

## كاتب يتحدى مشاعر المسلمين

## ويطالب بمحاربة الحجاب

وهو أجرأ من كتب طاعناً فى أحكام الحجاب والتنفير من طاعة الله عز وجل نشرتها مجلة أكتوبر فى العدد (٣٥١) ١٧ يوليو ٨٣ م ، ٧ شوال ١٤٠٣ هـ ص ( ٢٤ – ٢٦ ) قال : ( متى نشأ فى مجتمع معين وفى زمن محدود ما لا يمكن وصفه إلا بأنه ظاهرة متفشية تنطوى إلى حد ما على عنصر المفاجأة ، فلابد لنا من أن نلتمس التفسير أو بعضه على الأقل فى أسباب خارج نطاق الموضوع محور الظاهرة ، فعودة الكثير من نسائنا[١] – بمحض إرادتهن – لا نتيجة ضغط من آبائهن أو أزواجهن ، « بل أحياناً ضد رغبة آبائهن وأزواجهن ، ورغم استهجان السلطة فى بلدهن » ، يمكن أن نحدد لبدايتها تاريخاً لا يزيد على ستة عشر عاماً ، ثم انتشرت منذ ذلك الحين وفى هذه الحقبة القصيرة انتشار النار فى الهشيم ، مثل هذا الانتشار المفاجىء لظاهرة ما إن كان يمكن تفسيره فى بعض الأحيان بظهور نبى جديد ، أو قيام حكومة تيروقراطية فى بلد معين ، فليس بالوسع الاقتصار فى تفسيره على الإشارة إلى رغبة عامة مفاجئة فى التمسك بتعاليم الدين ، علماً بأن القرآن كان دائماً بين أيدينا ، وكانت تعاليم الدين دوماً فى متناول الجميع[٢] فلم ظهر الأمر فجأة إذن ؟ ولم اتخذ صورة الظاهرة المتفشية خلال سنوات قلائل ؟ لا مفر إذن من تفسير هذا النوع الذى ذكرناه فى بداية المقال ، وإن كره الكارهون وغضب الغاضبون ) .

---

(١) كذا ولعل تمام العبارة : ( إلى الحجاب ) .

(٢) ومن هنا فنحن نوجه للكاتب سؤالاً صريحاً : إن كنت تعلم أن الحجاب من تعاليم الدين ، ومن أوامر القرآن الذى بين أيدينا فما هو موقفك الصريح من هذه التعاليم ، وما هو الموقف الذى ترتضيه ، وترضاه من غيرك تجاه أوامر القرآن ؟ وماذا قصدت بقولك آنفاً ( ظهور نبى جديد ) ؟

ثم يستمر الكاتب فى تحليل أسباب تمسك البعض بالحجاب فيقول : ( إن ظاهرة عودة نسائنا إلى الحجاب لا يمكن وصفها بأنها شأن عادى ، ولا القول بأن العائدات إليه – فى مجموعهن – وكطائفة ، نساء عاديات ، ولا عجب فى هذا أن نجد من بينهن الكثيرات من الفتيات والنسوة العاديات اللواتى خضعن لتأثير أو ضغط أو دفعهن إلى التحجب نزوع إلى تقليد ، أو اتجهن إلى التدين ، ثم سألن من يعتقدن أنهم أفقه منهن فى أمور الدين ، فاخترن ما ذكر لهن أنها ثياب إسلامية يأمر الشرع بها ، فالمهم هنا ليس أن المتحولة إلى هذا النوع من الثياب امرأة عادية إنما المهم هو نوعية ممارسى الضغط والتأثير فى المناخ العام الذى جعل هذا الضغط وهذا التأثير شائعين ) اهـ وكأن الكاتب الحاقد يشير بكلمات مسمومة هدفها الواضح : أن هذه الثياب لا علاقة لها بالإسلام ، وإنما هناك ضغوط خفية مؤثرة يجب البحث عنها والقضاء عليها .

ثم يؤكد فى مقاله على القيم التى يرى من وجهة نظره أن تكون أساساً لاختيار المرأة ثيابها فيعتبر جمال الوجه والقوام أساس اختيار الثوب ، أما اختيار الثوب طبقاً لأحكام الإسلام وأوامر القرآن فهذا عنده سلوك غير عادى ويجب محاربته ، يقول : ( ولو أن امرأة اختارت ارتداء الثوب الإسلامى على أساس أنه أجمل أو أنسب لوجهها وقوامها ولا شيء غير ذلك لكان سلوكها عادياً ، ولما كان الأمر محل جدل ومثار مناقشات عنيفة وسبب احتكاك عائلى وشجارات وطلاق ومنع من دخول الجامعات إلى آخره ، غير أن الواقع أن تبنى الرجل أو المرأة للزى الإسلامى ليس نابعاً من مزاج ، إنما هو موقف .. هو موقف يراه البعض شاذاً مستنكراً وجديراً بالمحاربة ويراه أصحابه الموقف السليم الوحيد الذى ينبغى محاربة غيره واستئصاله ) اهـ ، وكأن الكاتب الذى يقول : «أهلاً وسهلاً ومرحباً بالأناقة والموضة ولا مرحباً بطاعة الله ورسوله ﷺ» ، يريد أن يذكرنا بمسلكه الوخيم هذا بمن قال فيه الله تبارك وتعالى : ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً** ﴾ الفرقان ( ٤٣ ، ٤٤ ) وقوله عز وجل : ﴿ **وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ الزمر (٤٥) .

ثم يحاول ذلك الشيطان الإنسى أن يبث بذور الفرقة والعداوة ، ويوطد دعائم « الحواجز النفسية » الحاقدة بين المحجبة وغير المحجبة حتى لا تتأثر الأخيرة بدعوة الأولى لها إلى الحجاب يوماً ما فيقول : ( إنه يكاد يكون من المؤكد أن ما من امرأة محجبة تجلس إلى غير محجبة إلا ونظر كل منهما إلى الأخرى نظرة الارتياب : هذه فى استنكار وتحفز ، وتلك فى حيرة وتساؤل ، كما أنه من الصعب أن نتخيل قيام علاقة عادية بين الاثنتين ) اهـ .

ثم يدعى أنه قابل منذ أيام عاملاً ميكانيكياً بسيطاً ومرت بهما امرأة محجبة ، وينسب إلى ذلك الميكانيكى « الملهم .. الأديب .. » تعليقه على منظرها قائلاً فى امتعاض : ( أنا لست ضد الدين ، وأنا وامرأتى نصلى ونصوم ولله الحمد ، ولكن هذا الشيء[1] ليس من ديننا فى شيء ، هؤلاء — لاحظ استخدامه لكلمة « هؤلاء » فى معرض الحديث عن واحدة[2] — قوم يُبْغِضوننا ويتربصون بنا وينتظرون أن تكون لهم الغلبة حتى يخسفوا بنا الأرض — أنا لست ضد الحجاب فى حد ذاته ... فليتحجب من شاء .. ولكنى ضد ما يخفيه هذا الحجاب من مشاعر سوداء .. تسألنى ماذا لقيت منهن ؟ لم ألق منهن شيئاً ، ولكنى أحس إحساساً قوياً بما تشعر به نحوى وهى تنظر إلىَّ ، وأعرف ما تهددنى به ، « إننا » نتركهن يرتدين ما يردن ، ويتصرفن كما يحلو لهن ، ولكن أتظن متى وصلت جماعتهن إلى السلطة يتركننا نلبس ما نشاء ونتصرف كما نريد ؟ ) ثم يمضى الكاتب ينفث سمومه السوداء وأحقاده الدفينة قائلاً : ( وقد هالنى أن أرى الشبه الشديد بين موقفه هذا من المرأة المحجبة وموقف الرومان خلال القرون الثلاثة الأولى بعد مولد المسيح من المسيحيين فى الإمبراطورية ، لقد كان يسود الامبراطورية خلال تلك القرون تسامح دينى نادراً ما عرف العالم نظيراً له ، غير أنهم استثنوا المسيحيين من هذا التسامح ، وكان هذا الاستثناء راجعاً لا إلى مخالفة المسيحيين لهم فى

---

(١) يقصد الميكانيكى ( الفذ ) بكلمة ( هذا الشيء ) : ( الحجاب ) .

(٢) هذا التعليق من ذلك الكاتب الحاقد على دين الله ، أو ممن وراءه ( من الميكانيكية ) — هدفه إقامة الحواجز النفسية بين أهل الطاعة وعموم الناس حتى يترسخ العداء بينهما ويحول دون استجابتهم لأحكام الشرع .

العقيدة ، إنما إلى عداء المسيحية لكل ما عداها من عقائد .. مما دفع الرومان إلى تسمية أتباعها بأعداء الجنس البشرى ، كانت روح المسيحية خطراً على تقاليد المجتمع الرومانى وأسسه ، ومع ذلك فقد كانت كراهية عامة الشعب للمسيحيين أقوى منها عند الأباطرة والسلطات ، فالجمهور قد أزعجه أن يرى أتباع هذا الدين يكرهون آلهتهم ، ويُصَلُّون من أجل نهاية العالم ، ويفرحون متى لحقت الهزيمة بجيوش الامبراطورية ، وكانت العامة تنسب الكوارث التى تحل بها كالفيضانات والمجاعات والحرائق إلى ما يمارسه المسيحيون من سحر أسود ، وكانت تدرك أن المسيحيين يبغضون كافة مظاهر الحضارة التى يعيشون فى ظلها ، وأنهم إن تمت لهم الغلبة فسيسحقون أنظمة الدولة وآلهتها ، ولن يُبْدوا تجاه الأديان المخالفة ذلك التسامح الذى يطالبون به لأنفسهم ، فاستثناؤهم إذن من تطبيق مبدأ التسامح الدينى، إنما كان لحماية مبدأ التسامح الدينى )ا هـ .

ثم يستطر ذلك الشيطان قائلاً :

- ( أعود فأقول : إن ما يدفع البعض إلى اعتبار المرأة المحجبة امرأة غير عادية هو أن الزى الذى تبنته يفصح عن موقف عقلى غير عادى ، وعن مفاهيم وقيم يراها الآخرون غير عادية ، فخلاصة اعتقاد مثل هذه المرأة هى : أن النظر سهم من سهام إبليس مسموم ، ولا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ،ولا المرأة إلى الرجل حيث إن قصدها منه كقصده منها ، .. فالمرأة كلها عورة إلا وجهها ويديها .. والكشف عن غير الوجه والكفين مدعاة للافتتان ، فإن كانت المرأة جميلة الوجه ، وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك .. إلى آخره مما نقلناه من تفسيرات القرطبى ، فالمرأة التى تعتقد مثل هذا فى أيامنا هذه حين أصبح بالإمكان أن يجلس الرجل إلى المرأة دون أن تخطر ببال أيهما فكرة جنسية ، والتى ترفض مصافحة الرجل بيد عارية خشية أن تثور لدى أيهما إحساسات جنسية محرمة ، والتى تشغل بالها مشكلة ما إذا كان ظاهر قدمها سيثير عند الرجل فى الطريق رغبات حيوانية ، امرأة غير عادية ) ثم ذكر فوق هذه التعبيرات الساخرة عبارات « فاحشة » ننزه قلمنا وأسماع إخواننا عن تسطيرها ، بل لم يكتف - أخزاه الله - بهذا بل ها هوذا يصف المحجبات « بالكبت » بدل أن يصف فعلهن

« بالتعفف » والامتثال لأوامر رب العالمين ، بل تصل الجرأة وسوء الأدب أقصاهما حين يصف معنى الحجاب الوارد فى قوله تعالى ﴿ **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾ بأنه معنى « ضيق » ثم مضى يتهم المحجبات العفيفات المحصنات – بارك الله فيهن – بأنهن لا يفكرن إلا فى ما سمّاه « الجنس » وأنها – أى المحجبة – ترتدى الحجاب ( ليقيها من هذه المثيرات التى تسببت من قبل فى إحداث تهيج شديد عندها لم يكن لها طاقة به .. بمعنى أنها قبل أن ترتدى الحجاب قد تأثرت بهذه المثيرات التى أحدثت لها هذا التهيج الجنسى الذى استجابت له ، ولم تستطع مقاومته ... ) ا هـ إلى هذا الحد يطعن هذا الفاجر فى سلوك المحجبات نسأل الله أن يجعله وأمثاله من أعداء الدين عبرة لمن يعتبر ، وأن يحبط ، كيدهم ، ويرده فى نحورهم ، وأن يشغلهم بأنفسهم عن أهل محبته وطاعته ، وأن يجعل تدبيرهم فى تدميرهم، إنه سميع مجيب .

ثم يتحدى مشاعر المسلمين جميعاً قبل المسلمات بقوله : ( ولو كانت مرتديات الحجاب صريحات مع أنفسهن لاعترفن فى النهاية بأن سبب ارتدائهن له هو تعرضهن لاختبار صعب أو موقف لم تكن لهن به طاقة ) ا هـ .

ثم يشير إلى أن هدف المتمردين على التقاليد هو ( أن يشد بعضهم من أزر بعض حتى أصبح مجرد سيرهم فى الطريق ، ورؤيتهم فيه لأمثالهم ، يُشعرهم بأنهم ليسوا وحدهم فى خضم الصراع فإذا بإرادتهم الاستمرار فى المقاومة تثبت ، وإذا ثباتهم يدفع غيرهم إلى التشبه بهم ، فيكثرون ، وإذا الكثرة تبهجهم فيشجعون ، والحجاب فى مجتمعنا يؤدى الغرض نفسه ) ا هـ .

ثم يمضى الكاتب متحفزاً مستنفرا لإخوانه من أعداء الإسلام مستعدياً إياهم على أولياء الله قائلاً : ( فإذا كان منا من يعلم هذا كله ويرى مع ذلك ضرراً اجتماعياً خطيراً فى العودة إلى الحجاب ، فعليه أن يضع فى حسبانه – فوق كل اعتبار آخر – أن انتهاج سبيل العنف مع هؤلاء كوسيلة للحل ليس فقط من قبيل العبث ، إنما هو أمر يرحب به هؤلاء ، فما من سعادة يرونها أعظم من سعادة الاستشهاد فى سبيل العقيدة ) ا هـ ويختم مقاله مستنهضاً همم إخوانه من دعاة العرى والانحلال قائلاً : ( ليست الحكومة وحدها المطالبة بالتصدى لتصحيح

الأوضاع التى دفعت هؤلاء إلى مثل هذا الموقف والمسلك .. فالأفراد والجماعات كافة - حتى ميكانيكى السيارات الذى تحدثت عنه - مطالبون هم أيضاً بالمساهمة ، وهى مساهمة نوجزها فى جملة واحدة : ( كبح جماح النفس قبل أن يأتى اليوم الذى يذهب بنفوسهم) انتهى كلامه عليه من الله ما يستحقه ، ونحن لا نملك إلا أن نقول له : « اخسأ فلن تعدو قدرك » وصدق الله العظيم : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ فاللهم وعدك الذى وعدت به عبادك المؤمنين ، ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغلبون** ﴾ .

﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز** ﴾ المجادلة( ٢٠ ، ٢١ ) .

## اعرف عدوّك

**يتحلى أغلب أعداء الحجاب بخاصية « الجهل المركب » فهم ليسوا فقط جهالاً بل يجهلون أيضاً أنهم جهال ... وقديما قالوا « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .**

**فإذا اجتمعت فى شخص العداوة مع الجهل ترى كيف يكون حاله ، وماذا يكون مقاله ؟ .**

**نورد فيما يلى ما كتبته الطبيبة النفسية والكاتبة ( نوال السعداوى ) تحت عنوان :**

**« ليس هناك نص .... أتحدى »(*) :**

(إن ما هو طبيعى وما هو إنسانى أن تعامل المرأة كعقل وجسد ، وتتعامل مع الآخرين من هذا المنطلق ، أنا ضد أن نحكم على المرأة بالزى فحجاب المرأة

(*) جريدة ( الأهالى ) الشيوعية عدد ٥ / ١٠ / ٨٣ الصفحة الثالثة .

ونقابها ما هو إلا اختزال لإنسانيتها ، وأنا ضده بالذات حين يكون باسم الدين .... والذين ينادون بأن تتحجب المرأة لم يفهموا المرأة المسلمة ولم يدرسوا أحاديث الرسول ولم يقرأوا القرآن قراءة صحيحة ولم يطلعوا على التاريخ بل أخذوا أشياء دخيلة على الإسلام الحقيقى ، وعلى الحضارة المصرية والعربية الحقيقية. (**فأنا لى خمسة وعشرون عاماً أدرس الدين الإسلامى وأقارن .. ولا توجد آية قرآنية واحدة تنص على تحجيب المرأة ... زوجات سيدنا محمد لم يكن محجبات** وأتحدى أى شخص يقول بأن السيدة خديجة مثلاً – كانت محجبة أو أن سيدنا محمد فرضه عليها ... والحجاب تاريخياً بدأ فى الدين اليهودى الذى يرى أن حواء ترمز إلى الخطيئة الأولى ، وما هى إلا جسد فقط ، على عكس آدم الذى يرمز للعقل ، لذلك يجب أن تشعر بطبيعتها الناقصة، وتغطى رأسها خجلا وعاراً ) ا هـ .

## شيوخ فى المعركة

**« إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية »**
عمر بن الخطاب رضى الله عنه

طال الأمد على المسلمين ، وتم تحريف تصوراتهم بتأثير هذه الهجمات ، واعتادت قلوبهم وعيونهم رؤية المنكر فلا يحركون ساكناً ، ولا يتمعر لأكثرهم وجه غضباً لله تعالى ، وتضاعفت المحنة حينما وقع بعض الشيوخ أسرى للغزو الفكرى المسموم ، فراحوا يرددون دعاوى انهزامية لا تليق أن تصدر من أفواه ورثة النبى ﷺ ، وأدلوا بدلوهم فى فتنة ( تحرير المرأة ) عن طريق السخرية والتهكم أحياناً ، وعن طريق دعاوى علمية زائفة أحياناً أخرى ، فمن الأول قول بعضهم : ( إن المحجبة تظهر فى سمت عفريت ) ومن الثانى قول بعضهم : ( إن

النقاب بدعة لا أصل لها فى كتاب ، ولا سنة ، ولا مذهب إمام من الأئمة ) ، ومنهم من يحمل المنقبة على خلع النقاب وينفرها منه .

وهؤلاء جميعاً يهرفون بما لا يعرفون ، يثبطون ولا يثبتون ، وكان الأحرى بهم إذ قصرت هممهم عن همم هؤلاء الفتيات المؤمنات الصابرات على دينهن القابضات على الجمر – أن يتمثلوا ما قاله النبى ﷺ لأبى بكرة رضى الله عنه : « **زادك الله حرصاً** »[1] أى على الخير وقد مضت السنة أنه من يرى شخصاً على عمل صالح فليقل له ما يثبته عليه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها ، فقال : « **اعملوا ، فإنكم على عمل صالح** »[2]، وعنه رضى الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ ، وخلفه أسامة ، فاستسقى ، فأتيناه بإناء من نبيذ[3] ، فشرب ، وسقى فضله أسامة ، وقال : « **أحسنتم كذا فاصنعوا** »[4] .

نعم كان الأولى بهم أن يحفظوا قوله ﷺ لجابر بن سليم الهجيمى رضى الله عنه : « **اتق الله ، ولا تحقرن من المعروف شيئاً** »[5] وليتهم قلدوا العلماء الذين يبيحون كشف الوجه ، ورغبوا فى النقاب باعتباره فضلاً لا فرضاً ، ولكن هؤلاء ادعوا أن الانتقاب بدعة لا فرض ولا فضل ، واستباحوا السخرية والتهكم من المنقبات ، وهذا ما لم يسبقهم إليه عالم .

ومن تناقضاتهم أنهم يعيبون دعوة ( قاسم أمين ) ، ويندِّدون بها وبالويلات التى جرَّتها على الأمة ، ثم هم يفكرون بعقلية ( قاسم أمين ) .

---

(١) رواه البخارى ( كتاب الأذان – باب إذا ركع دون الصف ) .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه ( انظر فتح البارى ٣ / ٤٩١ ) .
(٣) النبيذ : كل شراب نبذ ، سواء تعجلوا شربه وهو حلو قبل أن يتخمر وهو الأكثر وهو المراد هنا ، أو تركوه حتى يتخمر ، وكل ذلك يسمى عندهم نبيذاً .
(٤) رواه مسلم . وانظر ( الأذكار ) للنووى ص(٢٥٩).
(٥) أخرجه جمع من الأئمة منهم الإمام أحمد وأبو داود والنسائى والبغوى وابن حبان وغيرهم ( فيض القدير ) (١ / ١٣٣) .

ألا إن كل من يدعو المرأة إلى كشف وجهها ، وإلى الخروج للعمل والمشاركة في الحياة العامة مخالطة للرجال إنما هو ( قاسم أمين ) جديد ، مهما كان اسمه ، بلافرق بين الأصل والصورة ، فلا تحاربوا ياقوم ( قاسم أمين ) وأنتم من حيث لا تشعرون تدعون بدعوته .

**وهذا لايعني بطبيعة الحال أنا نطعن بهؤلاء الشيوخ – عفا الله عنهم – فإنهم – لا شك – غيورون على الإسلام ، متمسكون قبل كل شيء بالحل الإسلامي لنقائصنا ، بعيدون عن شبهة تطويع الإسلام لأغراض أعدائه ، فهذا الظن واجب في حق عوام المسلمين ، فخواصهم أولى به فأولى .**

إلا أن الذي يدفعنا إلى تسطير هذه السطور أنهم جهروا بهذه الآراء، ونشرت لهم على نطاق واسع ، خلال الصحف التي حرصت – خلال المعركة – أن تخلط دائماً ذهبنا بعملتها المزيفة لتتناولها الأيدي متسترة وراء أسماء هؤلاء الشيوخ .

ومن هنا كان من حق أهل الحق ، بل من واجبهم أن لا يغضوا الطرف عن هذه الأخطاء بل الخطايا ، وأن لا يخافوا في الله لومة لائم . .

وما زال في أمة محمد ﷺ أمثلة من أهل العلم مشرقة اضطلعوا بواجبهم وأنكروا على الخالفين المخالفين ، فألفوا كتباً ورسائل وأصدروا فتاوى تفضح خطط المتآمرين على المرأة المسلمة ، وتدعوها إلى الحرية الحقيقية الممثلة في العبودية الكاملة لله رب العالمين ، وتوجب على المرأة قرارها في البيت ولزوم الانتقاب والحجاب الكامل عند خروجها للحاجة .

فمن هؤلاء أصحاب الفضيلة المشايخ : مصطفى صبري ، أبو الأعلى المودودي ، محمد الأمين الشنقيطي ، سعيد الجابي ، عبد العزيز بن راشد النجدي ، عبد الله بن حميد تغمدهم الله بواسع رحمته ، ومنهم أيضاً أصحاب الفضيلة الشيوخ :
عبد العزيز بن باز ، وعبد العزيز بن خلف ، صالح بن فوزان ، عبد الله الأنصاري ، محمد علي الصابوني ، حمود بن عبد الله التويجري ، أبو بكر جابر

الجزائرى ، أحمد عز الدين البيانونى ، محمد سعيد رمضان البوطى ، وهبى سليمان غاوجى الألبانى ، عبد القادر بن حبيب الله السندى ، محمد الزمزمى بن الصديق الغمارى ، محمد أديب كلكل ، وغيرهم كثيرون جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

ونعرض – فيما يلى – نماذج لفتاوى بعض الشيوخ ، يراها أهل الحق مخالفة للصواب ولكنها تعكس مع ذلك مدى غربة الإسلام حتى بين أهله .

**(١) أحد أعضاء لجنة الإفتاء بالأزهر :**

حكت عنه منى رمضان فى « أكتوبر » قوله : ( **إن النقاب بدعة ليس له أى أساس فى القرآن أو السنة** ، فالمرأة عورة مستورة إلا ما بدا منها ، والمباح من المرأة هو وجهها وكفاها وقدماها قد حلل الله كل هذا ، فكيف ندعى أنه فرض من الله **أو سنة عن زوجات رسول الله** ؟ أما الحجاب وهو أن تخفى المرأة شعرها وتستر عوراتها فقد فرضه القرآن على المسلمات جميعاً .

والنقاب فى رأيى لا داعى لارتدائه إلا فى حالة واحدة : إذا حدثت فتنة فى البلاد بخصوص النساء أو إذا كانت هناك امرأة جميلة جداً لدرجة إثارة الفتنة ففى هذه الحالة فقط يكون لبس النقاب مطلوباً ) اهـ .

**(٢) رئيس تحرير إحدى المجلات الإسلامية :**

زعم فى معرض رده على مقال الغزالى حرب ( أن « الحجاب العصرى » الشائع والذى يبدو منه الوجه والكفان هو الذى لبسته المرأة المسلمة على مر القرون ) – وهذه دعوى تحتاج إلى دليل كحقيقة تاريخية بغض النظر عن الحكم الفقهى الفاصل فى المسألة – ثم يقول فى مقالته : ( ورغم هذا التطور الهدام(١) ، وفى وسط هذا الانحلال والظلام من التهتك والعرى والتبرج ، ظهرت فى وقتنا هذا ، رغم خروج الفتاة إلى الجامعة ، وإلى العمل ، فتيات مؤمنات يرتدين الحجاب ، ويشع من وجوههن نور الإيمان ، وتتوج رؤسهن الفضيلة والحياء .

---

(١) يعنى التطور فى مراحل الإغراق فى التبرج الذى تم على أيدى مصممى الأزياء الصهاينة .

ولا يقلل من هذا المظهر الرائع الذى يتفق مع ما يفرضه الإسلام ولا يتعارض مع المدنية الحقيقية ، ظهور بعض الفتيات اللاتى قد **شددن على أنفسهن** ، ولم يقتصرن على « الحجاب » وألزمن أنفسهن بلبس « النقاب » ، وهو الزى الذى يغطى الوجه كله ، ولا يكشف إلا عن العينين ، فضلاً عن ستر الجسم بما لا يشف ولا يصف .، والموقف العادل من هؤلاء : « المنقبات » هو أننا لا نأمرهن ولا نهاهن ، **فليس فى الإسلام ما يجعلنا نأمرهن بلبس « النقاب »** ، كما أنهن لم يأتين بمنكر حتى يأمرنا الإسلام بنهيهن ، أما الفتاة التى لا تلتزم « بالحجاب » فمن حقنا بل من واجبنا – أن ندعوها ونأمرها أن تلتزم بهذا الزى الإسلامى )[1] ا هـ .

**أخطاء .. أم خطايا**

وفيما يلى نعرض مقولات توضح مدى تغلغل الغزو الفكرى حتى فى عقول بعض « الشيوخ » المفترض فيهم أنهم « أطباء الأمة » .

**(٣) الشيخ محمد الغزالى :**

قال فى كتابه « ضوء على تفكيرنا الدينى فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى » :

( وأذكر أنى كنت ألقى محاضرة فى اليوم العالمى للمرأة ، فلما قلت : إن وجه المرأة وصوتها ليسا بعورة .. حدثت ضدى مظاهرة صاخبة ، وسمعت طالباً يقول لزميله : كنا نحسن الظن بهذا الرجل ، فإذا هو شر من قاسم أمين ! .

ولست – ولله المنة – مفرطاً فى دينى ، ولكنى مشفق على حاضره ومستقبله من الجهال والقاصرين .. لا سيما إذا واتتهم فرص فتحدثوا عنه وتكلموا باسمه .

---

(١) مجلة الدعوة العدد (٥٩) السنة الثلاثون جمادى الأولى ١٤٠١ مارس ١٩٨١ ص(١٢ – ١٣) مقالة بعنوان : «متى تختفى هذه الأصوات؟» والمقصود من نقل مقالته استنكار قوله : ( فليس فى الإسلام ما يجعلنا نأمرهن بلبس النقاب ) ، وإلا فهو أكثر إنصافاً من كثيرين كانوا أشد قسوة على المنقبات – عفا الله عنه .

وأسوق للقراء قصة وقعت فى مؤتمر مسيحى إسلامى انعقد فى أستراليا فى السنة الماضية ١٣٩٩ هـ .

روى هذه القصة الدكتور حسن باجودة رئيس قسم الدراسات العليا العربية – كلية الشريعة – قال : ( نظرت فوجدت المرأة فى سمت عفريت داخل قاعة المؤتمر .. كانت مغطاة من أعلاها إلى أدناها ، مستخفية الوجه واليدين تطل على الحضور من وراء ثقبين فى نقاب الوجه عليهما غطاء من زجاج أو باغة .. قلت : ما هذا ؟ قالوا : سيدة نصرانية جاءت تحتج على ظلم الإسلام للمرأة .. فارتدت هذا الزى الشرعى عند المسلمين لترى النساء فى استراليا ما يعده الإسلام لهن إذا انتشر فى هذه القارة الجديدة .. .

إن الحجاب الإسلامى يحفظ للمرأة شرفها ، ويرد عنها عيون الذئاب .. وليس كما يتصور القاصرون أنهن فى « سمت عفريت » .. لماذا تحترم الراهبات ولا تحترم المحجبات وزيهما واحد ؟ ) ثم يدعى الغزالى أنه ( ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ أن وجه المرأة عورة يجب أن تستر ) ويستطرد قائلاً : ( إن ناساً غلبهم الهوى الجنسى هم الذين شرعوا هذه التقاليد بعد ما تعسفوا فى شرح الآى بتفاسير مرفوضة ، تفاسير لم يقل بها واحد من الأئمة الأربعة[1] الذين انتشر فقههم فى طول البلاد وعرضها .

وقد دهشت لأن عالماً من « شنقيط » – وهو قطر مالكى المذهب – وقف فى المسجد النبوى يقول أثناء إلقاء درس له : « إن مالك بن أنس يقول :

---

(١) هذه كلها دعاوى خطابية تنهار بمجرد مطالعة خلاف الفقهاء فى هذه المسألة ، وسيأتى إن شاء الله إيضاح ذلك فى القسم الثالث من هذا الكتاب .

إن وجه المرأة ليس بعورة .. وأنا أخالف مالك بن أنس »(١) .

ثم قال الغزالى معلقاً : ( قلت : ليس مالك وحده الذى يقول ذلك ، بل سائر الأئمة الأربعة(٢) إلا رواية « واهية » ! عن أحمد بن حنبل تخالف المقرر من مذهبه كما حكى ذلك ابن قدامة الحنبلى ، والشيخ الشنقيطى – غفر الله له – حين يخالف أو يوافق ما يقدم ولا يؤخر ، وذكرت قول الشاعر :

**يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند ؟ )**

وقال الغزالى أيضاً : ( وقال لى رجل – ممن يرون سجن المرأة – « نحن

---

(١) مما ينبغى التنبه له أن كثيراً من نقول الغزالى « المعاصر » لمحاوراته مع مخالفيه تحتاج غالباً إلى تثبت وتدقيق لا فى أصلها من حيث الصدق وعدمه ، ولكن من حيث تفاصيلها ، حيث تغلبه طبيعته الأدبية وبراعته الإنشائية ، وقلمه المسلول على مخالفيه ، فيندفع القارىء أو المستمع بعاطفته المستثارة إلى الاقتناع بما يمليه عليه لسان الغزالى « وإن من البيان لسحراً » ، وهذا كثير فى كتبه لا يتنبه له إلا المنصفون ، وواجب القارىء أن يمحص ويدقق ، خصوصاً إذا احتمل الأمر الخصومة ، وكذا عليه إحسان الظن بالفريقين والإنصات لحجة كل منهما ، مع توافر الفرص المتكافئة فى التعبير عن الرأى ، فقد يكون أحد الفريقين ألحن بحجته ، وعِرض أحد المختلفين ليس بأشد حرمة من عرض الآخر حتى نخوض فيه بمجرد سماع من هو خصم له ، خاصة إذا كان هذا « الآخر » عالماً له فضله ومكانته كالعلامة الشنقيطى رحمه الله تعالى ، والذى يقتضينا حسن الظن به وبالشيخ الغزالى – عفا الله عنه – أن نصدق رواية الغزالى هذه من حيث أصلها ، لأن الشنقيطى حقاً لا يذهب مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه فى هذه المسألة ، لكننا لانستطيع أن نتصور أن عالماً جليلاً كالشنقيطى رحمه الله تعالى وهو مَن هو إجلالاً وتعظيماً وتوقيراً للأئمة وأدباً معهم رضى الله عنهم – يتكلم بمثل هذا السياق الذى أورده الشيخ الغزالى ، والذى يوهم أن الشنقيطى رحمه الله من ذلك الفريق المغرور من المُحْدَثين الذين يقولون « هم رجال ، ونحن رجال » حاشاه من ذلك ، وقد كان من واجب الغزالى أن يلتزم المنهج العلمى عند مناقشة مخالفيه من العلماء فى قضية المرأة بدلاً من « الهجاء » اللاذع فى مثل قوله يصف مخالفيه بأنهم ( غلبهم الهوى الجنسى ) وأنهم ( أصحاب عقول بها مس ) وأنهم ( أصحاب عقد نفسية ) وأنهم ( متدينون جهلة .. علماء قاصرون .. علماء على المجاز لا على الحقيقة ) وأن عقليتهم ( مختلة ) وأنهم ( بُلْه ) وأنهم ( رمم قديرة على الثرثرة ) كما تناثرت كل هذه الصفات فى كتابه ( دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ) ص(١٧٦ – ١٨٦)، وكتابه ( ضوء على تفكيرنا الدينى ) ص(٢٢ – ٢٩) ، وقد علَّمنا رسول الله ﷺ أن ننصر المسلم ظالماً أو مظلوماً ، وبين أن نصره ظالماً بأن نأخذ على يديه ، ونكفه عن ظلمه ، فهل من معتبر ؟ .

(٢) يأتى فيما بعد إن شاء الله بيان أن ذلك إنما هو فى الصلاة ، أما بالنسبة لنظر الأجنبى إليها عموماً ففيه خلاف سنذكره إن شاء الله ، وليس كما يدعى أنه متفق عليه بين الأئمة الأربعة .

نعلمهن كل شيء ، ولا يخرجن من بيوتهن » ! ، فقلت له : « إننا نَغْرق فى محاولات مضنية لرفع مستواكم الفكرى ، ولا نكاد ننجح !؟ فكيف نأمنكم على وظائف التربية والتعليم ؟ ) .

ثم يتمادى الغزالى فى هذا الأسلوب قائلاً : ( إن الإسلام لا يؤخذ من أصحاب العقد النفسية ، سواء كانت غيرتهن عن ضعف جنسى أو شبق جنسى ) .

ثم يحكى بإعجاب تفاصيل نشاط راهبة مبشرة فى الهند ، نالت جائزة « نوبل » ، ثم يعلق على هذا قائلاً : ( إننى أسوق هذا الخبر لنفر من المتكلمين باسم الإسلام يرون المرأة فى الجامع أو الجامعة قذىً فى أعينهم ، ويضعون العوائق من عند أنفسهم – لا من عند الله – كيلا يكون للنساء وجود فى ميادين الأمر والنهى ، والنصح للعامة والخاصة .. وهم مهرة فى لَيِّ أعناق الآيات ، وقلب الأحاديث النبوية رأساً على عقب ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، حتى يأخذ الناس دينهم من عقول بها مس .. ) .

ثم يذكر أن أستاذة بكلية الطب جامعة القاهرة قد استعانت به ( فى فتوى متواضعة لتمنع متخرجة فى كلية الصيدلة من القعود فى البيت والارتزاق من آلة خياطة .. لأن أحد المشايخ قال لها : « إن المرأة لا يجوز أن ترى أحداً أو يراها أحد » ، قلت لها : « هذه فتوى مخبول لا يعرف الإسلام .. بل هو وأمثاله قرة عين لأعداء الإسلام » )[1] اهـ .

ونحو هذا كثير من عبارات مماثلة للغزالى فى كتبه الأخيرة ، نسأل الله أن يلهمه أن يصون جهاده الطويل ومواقفه المجيدة فى الانتصار للإسلام فيما مضى ، بأن يحسن عاقبته فيما بقى ، ويراجع هذه المقالات ، ويعيد النظر فيما تضمنته ، والله ولى التوفيق .

---

(١) أضواء على تفكيرنا الدينى ص (٢٨ – ٢٩) .

## الحقيقة المريرة

إن العديد من الشيوخ فى هذا الزمان يدّعون احترام الأئمة والعلماء وقد ذابوا فى تعظيم الأجانب – ثم هم يخرجون على الأمة بآراء انهزامية أمام افتتانهم بالحضارة الغربية العاتية ، وإنهم ليحملون تحت العمائم أدمغة أصحاب القبعات .. ثم هم يفرضون هذا الفكر المنهزم على الدعوة الإسلامية الفتية الناهضة ، ويحكمون على مخالفيهم بما يحلو لهم من عقوبات ظالمة يستبيحون فى سبيل تطبيقها حتى أساليب الأحزاب السياسية ، وبذلك يقفون غصة فى حلق دعوة الحق ، ويقهقرون العمل الإسلامى والإصلاح السلفى ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

إنها حقيقة مريرة أيها المسلمون لابد أن تعوها وتبصروها .. .

إن فى مصر علماء يحتاجون إلى تعليم ..
وإن فى مصر دعاة يحتاجون إلى دعوة ..

« وإن هذا الأمر دين ، فانظروا عمّن تأخذون دينكم » .

قال البخارى رحمه الله تعالى فى أول كتاب الفرائض من « صحيحه » :
قال عقبة بن عامر رضى الله عنه :
« **تعلّموا قبل الظانّين** » ، قال البخارى : يعنى الذين يتكلمون بالظن ، وقال النووى رحمه الله تعالى : « ومعناه : تعلموا العلم من أهله المحققين الورعين قبل ذهابهم ومجيء قوم يتكلمون فى العلم بمثل نفوسهم ، وظنونهم التى ليس لها مستند شرعى »[1] اهـ .

---

(١) المجموع شرح المهذب ( ١ / ٤١ ) .

وقال الإمام العلامة أبو شامة رحمه الله فى « الباعث على إنكار البدع والحوادث »(١) :

( وفى الحديث عن ثوبان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا** »(٢) .

قال الإمام الطرطوشى رحمه الله : ( وقد صرَّف عمر رضى الله عنه هذا المعنى تصريفاً فقال : « ما خان أمين قط ، ولكن ائتمن غير أمين فخان ) قال : (ونحن نقول : « ما ابتدع عالم قط ، ولكنه استفتى من ليس بعالم فَضَلَّ وأضل» ، وكذلك فعل ربيعة ، قال مالك رحمه الله تعالى : بكى ربيعة يوماً بكاءً شديداً ، فقيل له : أمصيبة نزلت بك ؟ قال : لا ، ولكن استفتى من لا علم عنده ، وظهر فى الإسلام أمر عظيم ) اهـ .

شعر :

**وكنا نستطب إذا مرضنا ... فصار هلاكنا بيد الطبيب**

آخر :

**بالملح يصلح ما يخشى تغيره ... فكيف بالملح إن حلَّت به الغير**

آخر :

**إلى الماء يسعى من يغص بلقمة ... إلى أين يسعى من يغص بماء ؟**

آخر :

**فلو بغير الماء حلقى شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصارى**

---

(١) نقلاً عن « إصلاح المساجد » للقاسمى ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) أخرجه الشيخان ، وهو هنا مسوق بالمعنى ، فإنه مغاير لسياقهما فى بعض الألفاظ .

## بشائر عودة الحجاب

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثـــال ﴾
الرعد ١٧

**أرأيت من ينطح برأسه الصخر ، ويشرب بفيه البحر ؟**
**إنه هذا الذى يتنكر للإسلام ، ويسعى فى إذاية أهله ، وصدِّهم عن دين ربهم ..**
**إنه لا يحطم الصخر ، ولا يجفف البحر ..**
**ولكنه يمشى على رأسه إلى القبر ..**

**السيادة لقانون الله :**

علمنا – مما تقدم أن السفور حالة طارئة بدأت على استحياء منذ ما يقرب من خمسين عاماً ، وبلغت أوجها منذ ثلاثين عاماً ، ثم بدأ صعودها البيانى فى التوقف ثم الهبوط ، ولا يزال آخذاً فى الهبوط السريع منذ عشر سنوات تقريباً ، ويلاحظ الجميع أن المؤشرات كلها تؤكد أن السفور يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وستبقى بإذن الله السيادة لقانون الله وأمره بالحجاب **﴿ وكلمة الله هى العليا ﴾** .

إن الشارع المصرى يخبرنا أنه قد آن الأوان لهذا المرض الطارىء – السفور وملحقاته – أن ينقشع، وتبرأ منه أمتنا ككل باطل مصيره الهزيمة والاندحار مهما طال الأمد .

فطوبى لمن تنزع عنها غلالة الرجعية الجاهلية وتعود من غربتها واغترابها ، وتأتى اليوم وغداً بالحجاب ومعها العلم والوعى والبصيرة والحرية الحقة من عبودية العبيد ، قائلة لشياطين الإنس الذين يزينون لها معصية الله ورسوله ﷺ :

**﴿ إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾**

## وجُهة نظر صحافى ألمانى :

قال الكاتب الألمانى هيلمنسدورفر فى كتابه : « العبور العظيم ، والروح الجديدة لمصر » :

( لقد عشت فى القاهرة كمراسل صحفى من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦١ ، ومنذ هذا التاريخ كانت طبيعة عملى وراء حضورى إلى المنطقة بين الحين والحين ، وكنت أفضل دائماً الإقامة بجوار النيل ، إن التغيير الهائل الذى طرأ على القاهرة عاصمة الملايين ، معروف للجميع ، فقد انتقلت هذه المدينة الضخمة من الطابع الشرقى حيث كانت النساء يرتدين الأحجبة ، والرجال يرتدون الطربوش إلى عاصمة كبرى ، ولم تعد الفتيات اللواتى يرتدين البنطلونات والملابس العصرية يلفتن نظر أحد ، أو يقابلن بدهشة واستغراب ، **وأصبحت العلاقات بين الجنسين علاقة سوية لا تتخللها رواسب الجاهلية التى استمرت فترات طويلة فى الشرق** ، ويكفى أن تعلم أنه منذ ٢٠ عاماً فقط كان (٩٠) فى المائة من الرجال فى القاهرة يرتدون الجلباب ، **وكانت كل النساء تقريباً يرتدين الحجاب** ، أما اليوم ، فإن القاعدة العامة هى ارتداء البدل العصرية وعلى أحدث موضة فى الغرب ، وبالنسبة للنساء فإنه حتى فى أكثر المناطق شعبية لم نعد نرى الحجاب )[1] اهـ .

لقد فرح ذلك الصحافى الألمانى .. ولم يكن يدرى أنها فرحة .. لن تتم ، فتلك طبيعة هذه الدعوة ، وتلك سنة الله فى خلقه ... أن دولة الباطل ساعة ... ودولة

---

(١) نقلا عن ترجمة الكتاب المنشورة فى جريدة الأهرام بتاريخ ١ / ١٠ / ١٩٨٢ .

الحق إلى قيام الساعة ، بل لعله فرح لأنه لم يبلغه رأى أخيه ( لاكوست ) وزير المستعمرات الفرنسى منذ سنوات مضت :

**أقوى من فرنسا :**

ففى ذكرى مرور ما يزيد على مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر ، وقف الحاكم الفرنسى فى الجزائر يقول :
« يجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم ... ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم ، حتى ننتصر عليهم »(١) ..

( وقامت فرنسا – من أجل القضاء على القرآن فى نفوس شباب الجزائر – بتجربة عملية ، فتم انتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات ، أدخلتهن الحكومة الفرنسية فى المدارس الفرنسية ، ولقنتهن الثقافة الفرنسية ، وعلمتهن اللغة الفرنسية ، فأصبحن كالفرنسيات تماماً .

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود ، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعى إليها الوزراء ، والمفكرون والصحافيون ..
ولما ابتدأت الحفلة ، فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامى الجزائرى ..
فثارت ثائرة الصحف الفرنسية ، وتساءلت : « ماذا فعلت فرنسا فى الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً ؟ ! » .

أجاب « لاكوست » ، وزير المستعمرات الفرنسى :
« وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟ ! » )(٢) .

---

(١) المنار عدد ٩ / ١١ / ١٩٦٢ .
(٢) جريدة الأيام عدد ٧٧٨٠ – بتاريخ ٦ كانون الأول ١٩٦٢ .

**رجع الصدى .. وترديد الببغاوات :**

قالوا : إن العودة إلى الحجاب عودة إلى الجاهلية الأولى ..

وقالوا : إن الحجاب لا يصلح إلا فى مجتمع قبلى جاهلى ..

وقالوا : إن الحجاب تقليد من التقاليد البالية العتيقة ..

وقالوا : إن الحجاب تطرف وتنطع يأباه الإسلام ..

وراحوا يبحثون عن علة هذه الظاهرة فمن قائل : إنه اكتئاب حط على القلوب الشابة حتى لجأن إلى الحجاب يتوارين فيه .

ومن قائل : بل هو تطرف مفاجىء نتج عن الفراغ السياسى والعاطفى عقب النكسة .

لقد فعلوا - كما تقدم آنفاً - شتى الحيل ليصدوا المسلمة عن دينها ، ويوقعوها فى شراكهم ، ويذبحوا على أعتاب جامعاتهم ومصانعهم ومتاجرهم حياءها قرباناً لأغراضهم ، وقد استجاب لهم كثيرات وكثيرات .

ولكن لم تعدم أمتنا من يقمن الحجة على هؤلاء الكثيرات ، ويحيين السنة المطهرة ، فخرج من بينهن فتيات عفيفات طاهرات يهتفن من أعماق سويدائهن بنداء صارم بدَّد أطماع الأعداء ، فردهم خاسئين :

( رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ) .

وبعائشة الصديقة بنت الصديق ، وفاطمة الزهراء ، وأسماء ذات النطاقين ، والخنساء أسوة وقدوة ، لعلنا نحشر فى زمرتهن يوم القيامة قال ﷺ : « **المرء مع من أحب** »(*) .

وإذا بالفتيات المسلمات فى كل مكان تهوى قلوبهن لهذا النداء

---

(*) متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه .

العزيز ، وتنضم الواحدة تلو الأخرى إلى موكب العفاف والفضيلة ، بعد أن تهجر الفسق والرذيلة . .

**﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ :**

وأنى لباطل أعداء الإسلام أن يصبر أمام الحجة والبرهان ؟ إن باطلهم ظلام ، وحجتنا نور وبرهان ، وأنى تصبر جيوش الظلام أمام جحافل الحق **﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾** .

إن الرد على دعاوى المبطلين قريب ، وأقوى ردٍّ هو تخلي المرأة المسلمة عن هؤلاء ، بعد أن انخدعت بهن زمناً طويلاً ، وخلعت الحجاب ، وخالطت الرجال ، وذاقت ويلات جاهلية القرن العشرين ، وجرت فى دروب التقدميين والاشتراكيين طويلاً ، فما وجدت عندهم إلا الشقاء والضنك ، فعادت المسلمات – زرافات ووحداناً – مستغفرات تائبات ، خاشعات قانتات ، هجّيراهن جميعاً :

**﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .**

**يا أعداء الإسلام « موتوا بغيْظكم » :**

لقد اغتاظ أدعياء التحرر ، وصارت ( عودة الحجاب ) غصة فى حلوقهم ، فراحوا يتابعون هذه الظاهرة فى حسرة وقلق.[*]

**الصنم الذى تحطم :**

كتبت جريدة الأهرام بتاريخ ( ٢٩ / ٤ / ٧٧ ) تقول :

( امس مر « ٧١ » عاماً على وفاة قاسم أمين محرر المرأة الذى دعا إلى تحرير المرأة ، ورفع الحجاب ) ثم يقول الكاتب مغتاظاً متحسِّراً متأسفاً :

---

(*) حتى أنهم اعترفوا بهزيمتهم فى « المعركة الحقيقية » ، وعللوا ذلك بأن الفتيات يتحجبن عن اقتناع كامل ، متحدياتٍ كلَّ ما وضع فى طريقهن من العراقيل والضغوط ، حتى صار الحجاب فى عرف القوم حرياً بوصف « الظاهرة » ، ومن هنا كان هذا الإقرار الواضح والاعتراف الصريح وثيقة إدانة لكل الذين يصرون على فرض التبرج والسفور بالقهر ، زاعمين فى الوقت نفسه احترام الحرية الشخصية وضمان حرية الرأى .

( الغريب أنه بعد مرور « ٧١ » سنة على وفاته – وفى نفس الوقت الذى نحتفل فيه بذكراه – تقوم الدعوة إلى رجوع المرأة إلى البيت ، وحجبها عن المشاركة فى الحياة العامة ) ا هـ .

**لا .. لجيل « هدى شعراوى » :**

وجاء فى مجلة أكتوبر عدد (٢٢) : ( نشرت صحيفة « كريستيان مونتيور » بحثاً عن الإنجازات التى حققتها المرأة المصرية فى ميادين العلم والدراسات الاجتماعية ، وقالت الصحيفة : « شىء غريب فى مصر ، لقد كانت الأمهات من جيل « هدى شعراوى » أكثر تحرراً وتقدماً من بعض الفتيات فى مصر الآن .. الفتيات المحجبات والمتشددات ! ومعنى ذلك أن « هدى شعراوى » وجيلها كن أكثر تحرراً وتطوراً من فتيات اليوم ، بنات وحفيدات « هدى شعراوى » » ) ا هـ .

وهذه جريدة « الأهالى » الشيوعية تتابع الظاهرة فى قلق وغيظ وتفرد لها بحثاً جاء فى أثنائه على لسان « د . زينب رضوان » قولها : ( انتشر الحجاب بين الطبقة المثقفة قبل العوام ، وهذا على عكس ما هو متعارف عليه ، ونفس هذه الطبقة المثقفة هى التى رفضت الحجاب فى زمن « هدى شعراوى » وخلعته ، وداسته ، وهى ذاتها التى عادت تنادى به ، وبالعودة إلى الأصالة بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى من المحجبات من الطبقة الوسطى وهى الطبقة التى تقود التغيير فى أى مجتمع ، صحيح أنه انتشر أيضاً بين الطبقة الأرستقراطية ولكن بنسبة أقل )[*] ا هـ .

---

(*) الأهالى تاريخ ٥ / ١٠ / ١٩٨٣ الصفحة الثالثة .

**عاد الحجاب :**

وكتبت « منى رمضان » فى ( أكتوبر ) :

( عاد الحجاب مرة أخرى كظاهرة على وجوه الفتيات والسيدات فى مصر ، وهذه ليست آخر صيحة فى عالم الموضة ، كما قد يتبادر إلى الذهن ، ولكنه نوع من الحشمة ، و « إحياء » التقاليد الإسلامية التى تطلب من النساء أن « يدنين عليهن من جلابيبهن » ، والحشمة هنا نابعة من داخل المرأة ، وعلى أساسها فصلت هذه الثياب ) ا هـ .

**وفى فرنسا أيضاً قلقون :**

**فقد كان أول سؤال وجهته الصحافية الفرنسية « كاتى برين » للسياسية المذكورةسابقاً[1](انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات فى مصر فما رأى السيدة ... فى هذه الظاهرة ؟ ) فتجيب – وكانه أسقط فى يدها أمام قوة انتشار هذه الظاهرة : ( فى نظرى أن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات ، فهم سبب فى انتشار تلك الظاهرة ، فإذا قام أستاذ واحد بطرد فتاة واحدة من محاضراته ، مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب ... ) ا هـ .**

**المعركة مستمرة :**

أعداء الحق فى كل عصر على وتيرة واحدة ، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشئون ، وعلى المسلمة الصادقة أن توقن أن المعركة بين الحجاب والسفور ، بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر لا تنقطع ، فإن التاريخ يعيد نفسه ، وإن هذه سنة الله فى خلقه ﴿ **ولن تجد لسنة الله تحويلا** ﴾

**ألا إنما الأيام أبناء واحد ... وهذى الليالى كلها أخوات**
**فلا تطلبن من عند يوم ولا غد ... خلاف الذى مرت به السنوات**

---

(١) انظر ص ١٠٨

**قال تعالى :**

**﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ .**

وعن كعب بن مالك مرفوعاً : « **اهجوا بالشعر ، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله ، والذى نفس محمد بيده كأنما تنضحوهم بالنبل** » رواه الإمام أحمد ، وحسنه الألبانى .

**فيا دعاة الحق فى كل مكان :**

جردوا أسنة العزائم والرد ، واستعينوا على رد الباطل بالواحد الفرد ، اكشفوا ما فى مناهجهم من المؤاخذات ، وبينوا ما فيها من الخطأ والغلطات ، ليظهر جهل أعداء الحق وفساد أقوالهم للناظرين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .. فتالله ما بارز جنودَ الحق قَطُّ قِرْنٌ إلا كسروا قَرْنَهُ ، فقرع من ندمٍ سِنَّه ، ولا ناحرهم خصم إلا بشروه بسوء منقلبه ، وسدوا عليه طريق مذهبه لمهربه .

فاللهم من أراد الإسلام وأهله بسوء ، فاردد عليه دائرة السوء ، وَرُدَّ كيده فى نحره ، واجعل تدبيره فى تدميره — اللهم اغفر لجامعه ولوالديه ، وارحمهما كما ربيانى صغيراً ، ولإخوانه فى الله ، ولمن نظر فيه فدعا له بالعفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك مجيب الدعوات ، وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ، والحمد لله رب العالمين .

**تم بحمد الله القسم التاريخى من « عودة الحجاب » ويليه بإذن الله القسم الخاص بمكانة المرأة ويشمل :**

**« المرأة صريعة بين جاهليتين .**

**« شمس الإسلام تشرق على المرأة .**

السبت : ١٢ من ربيع الثانى ١٤٠٤ هـ

١٧ من ديسمبر ١٩٨٣ م

# مســرد الموضوعات

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |

